كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدمياط الجديدة
المجلة العلمية
العدد (١٣) ديسمبر ٢٠٢٣م

أسـرار التذييـل في محكم التنزيل

دراسة تفسيرية تطبيقية

"سورة التغابن أنموذجًا"

الدكتورة

منى مرسي إبراهيم مرسي

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن في كلية
الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات
جامعة الأزهر

الملخص باللغة العربية والإنـجليزية

يهدف هذا البحث إلى دراسة أسلوب من الأساليب البلاغية التي اشتمل عليها القرآن الكريم، وهو (التذييل) والذي يعد وجهًا من وجوه الإعجاز القرآني بما يحويه من نكات بلاغية، وتطبيقه على سورة التغابن، واعتمدت الدراسة في هذا البحث على المنهج الاستقرائي، والمنهج الاستنباطي، والمنهج التحليلي، وجاءت في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس .

وانتهى البحث إلى جملة من النتائج منها: أن التذييل ورد في سورة التغابن على أنواعه المتعددة، وألوانه المتباينة فمرة يأتي جاريًا مجرى المثل، ومره لا يجري مجراه، ومرة يأتي مؤكد للمنطوق، وأخرى مؤكد للمفهوم، ومنها: أن جملة التذييل تحقق أغراضًا كثيرة، منها: تقرير مضمون الجملة، والتعليل، والتعريض، والتقبيح والتوبيخ، والتهويل، والترغيب والتشويق، ومنها: أن جمل التذييل حوت واستوعبت كثيرًا من فنون البلاغة بأسلوب سهل لا تكلف فيه ولا غموض، ومن أبرز ما يوصي به البحث: إعطاء هذا الفن من البلاغة القرآنية –التذييل- مساحة أكبر من الدراسة لما له من أهمية كبيرة في إبراز وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم وهو الإعجاز البياني.

الكلمات المفتاحية: أسرار، التذييل، محكم التنزيل، التفسير، التغابن .

The secrets of the appendix in the download arbitrator An applied interpretive study "Surat Al-Taghabun A as an example"

Abstract:

This research aims to study one of the rhetorical methods included in the Holy Qur'an ،which is (the appendix)، which is considered one of the aspects of the Qur'anic miracle with the rhetorical jokes it contains، and to apply it to Surat Al-Taghabun. The study in this research relied on the inductive approach ،the deductive approach، and the Analytical، it consists of an introduction، two sections، a conclusion، and indexes

The research ended with a number of results ،including: that the appendix appeared in Surat al-Taghabun in its many types and varying colors. Sometimes it follows the course of a proverb، and sometimes it does not follow its course، and sometimes it comes as a confirmation of the utterance، and at other times it confirms the concept، and among them: that the appendix sentence achieves many purposes، including: Determining the content of the sentence، the reasoning، the exposition، the ugliness and rebuke، the intimidation، the enticement and the suspense، including: The appendix sentences contained and absorbed many of the arts of rhetoric in an easy manner in which there was no affectation or ambiguity، and among the most prominent things that the research recommends is: Giving this art of Quranic rhetoric - Appendix - a larger area of study because of its great importance in highlighting one of the aspects of the miracle of the Holy Qur'an، which is the graphic miracle

Keywords: Secrets ،Appendix، Precise Download، Interpretation، Tagabun.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ورضي الله عن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فلقد نزل القرآن الكريم بأعظم وأفصح لسان، وهو اللسان العربي، ولقد بلغ الغاية في كل الوجوه المتعلقة بلغته، سواءً في أسلوبه ونظمه، أو ترتيبه واتساقه وانسجامه بين ألفاظه وآياته، والتذييل من أهم هذه الوجوه في القرآن الكريم، إذ يذخر كتاب الله تعالى بهذا الفن البلاغي الذي أفاد في روعة التصوير وجمال البيان، كما أنه يعين على فهم المعنى، واستنباط الأحكام، وبه تتجلى لطائف الصلات، ودقائق المناسبات، ومن هنا فقد عقدت العزم على تناوله وإبرازه وتبيين قيمته، والوقوف على أسراره من خلال سورة (التغابن).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

[أ] أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع فيما يلي:

١- تعلق موضوع البحث بكتاب الله - ﷻ - الذي يكتسب المرء شرفًا بصحبته، وأجرًا بتلاوته، وثوابًا بالعكوف في محراب دراسته.

٢- أن دراسة أسلوب التذييل في القرآن الكريم أمر في غاية الأهمية؛ إذ إنها تعين على تدبر كلام الله - ﷻ - وفهمه وتفسيره،وتبرز جانبًا من جوانب إعجازه البلاغي.

[ب] أسباب اختيار الموضوع.

واختياري لهذا الموضوع كان لأسباب عدة، منها:

١- توفيق الله -ﷻ- لي باختيار هذا الموضوع ﴿.. ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ..﴾[١].

٢- الإسهام في الكشف عن الإعجاز القرآني، واستباط أحكامه وحِكمه .

٣ – الرغبة في إضافة دراسة جديدة إلى المكتبة التفسيرية.

٤- المساهمة في استكمال ما بدأه غيري؛ حيث وقفت على بعض الدراسات التي تهتم بإبراز هذا الجانب البلاغي وتطبيقه على بعض سور القرآن الكريم.

لهذه الأسباب قمت مستعينة بالله - تعالى- على تطبيق هذه الدراسة على سورة التغابن، وقد دفعني إلى اختيار هذه السورة الكريمة لتكون محلًا لدراستي عدة أسباب من أهمها:

أولًا- ما استوقفني من تساؤلات أثناء قراءة السورة الكريمة، منها:

- سر التعبير بصفة (البصير) دون (الخبير)[٢] في الجملة التذييلية: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ في الآية الكريمة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٣] بخلاف قوله –تعالى- بعد ذلك ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٤] حيث عبَّر بصفة (الخبير) دون (البصير).

- سر اتِّباع صفة (الغني) بـ(الحميد) في الجملة التذييلية: ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[٥].

---

(١) سورة الأعراف الآية [٤٣].

(٢) أسماء الله تعالى هي أسماء من حيث دلالتها على الذات وصفات من حيث معانيها إلا كلمة (الله) فهي اسم يدل على الذات مطلقًا، فمن أسمائه -عز وجل -: (الرحمن،الرحيم، العزيز) وهو موصوف بالرحمة والعزة.

(٣) سورة التغابن الآية [٢].

(٤) سورة التغابن الآية [٨].

(٥) سورة التغابن الآية [٦].

- سر الإخبار عن وقوع البعث والحساب بـ(يسير) في الجملة التذييلية: ﴿ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[١] دون أن يقال:(واقع) كما في قوله –تعالى-: ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾[٢].
- سر وصف الفوز بـ(العظيم) في الجملة التذييلية: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٣] دون (الكبير) كما في قوله –تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾[٤].
- سر إضافة (الشح) إلى (النفس) في الجملة التذييلية: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٥] مع إضافة (الهداية) إلى (القلب) في قوله –تعالى-: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ ﴾[٦]، إلى غير ذلك من التساؤلات التي قد تخطر بذهن القارئ لهذه السورة الكريمة المتدبر في مقاصدها وهداياتها.

ثانيًا: كثرة ورود التذييل في آياتها.

ثالثًا: أني لم أقف على دراسة التذييل في هذه السورة المباركة.

أسأل الله -ﷻ- أن يغفر لي تقصيري، وأن يجعل عملي في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

---

(١) سورة التغابن الآية [٧].

(٢) سورة الذاريات الآية: [٦].

(٣) سورة التغابن الآية [٩].

(٤) سورة البروج الآية [١١].

(٥) سورة التغابن الآية [١٦].

(٦) سورة التغابن الآية [١١].

الدراسات السابقة:

بعد البحث لم أجد دراســة – حســب ما وقفت عليه- عنيت بتناول هذا الأسلوب وتطبيقه على سورة التغابن، و إنما وجدت الدراسات التالية:

- بلاغة التذييل في محكم التنزيل سورة الجمعة أنموذجًا بحث منشور في مجلة كلية الآداب العدد: ٥ يناير ٢٠١٢م، للدكتورة: سميرة بنت محمد بن جالية أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية الآداب، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الأميرة / نورة بنت عبد الرحمن .
- من أسرار التذييل في سورة الجمعة بحث منشور في مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية العدد: ١١ المجلد: ٤ يناير٢٠١٦م للدكتور: عادل عبد اللطيف رجب عبد العاطي مدرس التفسير بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة.
- بلاغة القرآن في تذييل الآيات دراسة تأصيلية لـ أ.د. أحمد محمد الشرقاوي، بحث منشور في مجلة تدبر-عدد٢ إبريل ٢٠١٧م– مجلد١.
- من أسرار التذييل في كتاب الله الجليل دراسة تطبيقية على سورة المجادلة، بحث منشور في حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد السادس والثلاثون لعام ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، د. شريفة بنت أحمد بن مبارك الغامدي أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية الآداب، بجامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل.
- التذييل وقيمته التفسيرية في سورة الشورى بحث منشور في مجلة كلية دار العلوم –جامعة القاهرة، سبتمبر ٢٠١٩م، د. محمد سعيد مصطفى الغزال المدرس بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا.
- أسرار التذييل في الربع الثالث من سورة النساء من أول قول الله –تعالى-: ﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ إلى آخر الربع. بحث منشور في مجلة كلية البنات الإسلامية بأسيوط، العدد الثامن عشر،

يناير ٢٠٢١م، للدكتور مصطفى أحمد محمد أحمد، أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا.

- التذييل عند ابن عاشور في تفسيره دراسة موضوعية تحليلية سورة البقرة نموذجًا. بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان، العدد الرابع، ذو القعدة ١٤٤٢هـ، ٢٠٢١م إعداد الدكتور مصعب بن عبد اللطيف.

خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس، على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على سبب اختياري الموضوع، وخطة البحث، والمنهج المتَّبع فيه.

المبحث الأول: الدراسة التأصيلية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التذييل، وأهمية دراسته في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أقسامه، وأغراضه.

المطلب الثالث: الفرق بين التذييل والفاصلة.

المطلب الرابع: مظاهر اعتناء المفسرين بهذا النوع من البلاغة القرآنية في كتب التفسير.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بسورة التغابن.

المطلب الثاني: أسرار التذييل في السورة الكريمة.

الخاتمة: وفيها أهمُّ نتائج البحث، وكذا أهم التوصيات.

الفهارس: وتحتوي على بعض الفهارس الفنية التي تتناسب مع طبيعة البحث، وتكشِف عن مضمونه.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، والمنهج الاستنباطي، والمنهج التحليلي.

ويمكن تحديد خطوات المنهج المُتَّبَع فيه فيما يلي:

- اطلعت على ما تيسر الرجوع إليه من كتب وأبحاث كتبت في فن التذييل، وكذلك رجعت إلى ما تيسر من كتب التفسير وعلوم القرآن التي عنيت بإبراز التذييل في القرآن الكريم حتى تكونت الفكرة واتضحت الرؤية، ومن ثمَّ استخرجت مواضع التذييل المشتملة عليها السورة الكريمة.
- بدأت دراسة كل موضع بكتابة الآية الكريمة المشتملة على التذييل بالرسم العثماني مع ذكر رقم الآية.
- بينت المعنى الإجمالي للآية الكريمة مع ذكر المناسبة وسبب النزول -إن وجد- لما له من تأثير على المعنى.
- وضحت فائدة التذييل وصلته بالآية الكريمة .
- ذكرت ما بدا لي من أسرار في جملة التذييل.
- ذكرت الدروس المستفادة من جملة التذييل.
- اعتمدت على ما تيسر الرجوع إليه من المراجع والأبحاث المتعلقة بموضوع البحث.
- وثَّقت النصوص المنقولة عن أهل العلم توثيقًا علميًا دقيقًا من مصادرها الأصلية، مع الإشارة إلى التصرف فيها، إن تم التصرف في النص المنقول.
- عزوت الآيات القرآنية المستشهد بها في البحث إلى سورها، بإثبات اسم السورة، ورقم الآية بالهامش في نهاية الصفحة.
- خرَّجت الأحاديث النبوية من مصادرها المعتمدة .
- ترجمت للأعلام غير المشهورين فقط ؛ خشية الإطالة.
- بَيَّنْت معاني الكلمات الغريبة التي تحتاج إلى بيان عند أول ورودها.
- وضعت هامش كل صفحة أسفل نفس الصفحة لتيسير الرجوع إلى الهامش.

- بالنسبة للمصادر وتدوينها: فقد اكتفيت بذكر الاسم العلمي للكتاب، وأيضًا رقم الجزء والصفحة من غير أن أذكر اسم المؤلف إلا إذا تشابهت أسماء بعض الكتب فحينها أورد اسم المؤلف تمييزًا بين الكتابين، وأرجأت عرض بياناته كاملة من التحقيق ودار النشر، وسنة الطبع، وعدد الأجزاء إلى آخر البحث أثناء سرد المراجع.
- ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج، ثمَّ فهرس للمراجع والمصادر، وآخر للموضوعات.

هذا، والله أسأل أن يلهمنا الصواب في القول والعمل إنه أكرم مسؤول، و أفضل مأمول.

المبحث الأول
الـدراســـــة التأصيـلـيـــة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول:

مفهوم التذييل، وأهمية دراسته في القرآن الكريم.

المطلب الثاني:

أقسامه، وأغراضه.

المطلب الثالث:

الفرق بين التذييل والفاصلة.

المطلب الرابع:

مظاهر اعتناء المفسرين بهذا النوع من البلاغة القرآنية.

المطلب الأول

مفهوم التذييل وأهمية دراسته في القرآن الكريم

أولا: مفهوم التذييل:

التذييل لغة: قال ابن منظور: الذَّيْل: آخِرُ كُلِّ شَـيْءٍ. وذَيْل الثَّوْبِ والإِزارِ: مَا جُرَّ مِنْهُ إِذا أُسْـبِل، والذَّيْل: ذَيْلُ الإِزار مِنَ الرِّداء، وَهُوَ مَا أُسْـبِل مِنْهُ فأَصـاب الأَرض. وذَيْل المرأَة لِكُلِّ ثَوْبٍ تَلْبَسـه إِذا جرَّته عَلَى الأَرض مِنْ خَلْفِهَا، والذَّيَّال مِنَ الخيلِ: المُتَبَخترِ فِي مَشْيه واسْتِنانه كأَنه يَسْحَب ذَيْلَ ذنَبه، وذالَ الرَّجُلُ يَذِيلُ ذَيْلًا: تَبَختَرَ فجرَّ ذَيْله، وَيُقَالُ: ذَالَتِ الْجَارِيَةُ فِي مَشْـيها تَذِيلُ ذَيْلًا إِذا جَرَّت أَذْيَالها عَلَى الأَرض وَتَبَخْتَرَتْ، وذَيْلُ المرأَة مَا وَقَعَ عَلَى الأَرض مِنْ ثَوْبِهَا مِنْ نَوَاحِيهَا كُلِّهَا[١].

وقال الفيروزآبادي: الذَّيْلُ: آخِرُ كُلِّ شَـيءٍ، ومِنَ الإِزارِ والثَّوْبِ: ما جُرّ، وذالَ: صـارَ له ذَيْلٌ، وذال فلانٌ: تَبَخْتَرَ فَجَرَّ ذَيْلَهُ[٢].

نسـتخلص مما سـبق أن مادة (ذيل) في اللغة تدور حول عدة معانٍ منها: نهاية الشـيء وآخره، الوفرة والسعة، التبختر، الطول.

التذييل اصطلاحًا:

أولًا: تعريف التذييل في اصطلاح البلاغيين:

جاء في تحرير التحبير: "التذييل، هو أن يذيل المتكلم كلامه بجملة يتحقق فيها ما قبلها من الكلام، وتلك الجملة على قسمين: قسم لا يزيد على المعنى الأول، وإنما يؤتى به للتوكيد والتحقيق، وقسم يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله"[٣].

وفي نهاية الأرب: "التذييل هو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكّد عند من فهمه"[٤].

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (ذيل)(٢٦١/١١، ٢٦٠) بتصرف كبير.

(٢) ينظر: القاموس المحيط- فصل الراء (ص١٠٠٢).

(٣) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر لابن أبي الإصبع(ص٣٨٧).

(٤) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري (١٤٠/٧).

وفي الايضاح: "التذييل: هو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد"(١).

بالنظر في هذه التعريفات؛ نجد أنها وإن تعددت عباراتها إلا أنها جميعها متفقة على أن التذييل يكون بجملة تحقق ما قبلها وتؤكده.

ثانيًا: تعريف التذييل في اصطلاح علماء التفسير وعلوم القرآن:

عند الرجوع للمعنى الاصطلاحي للتذييل عند علماء التفسير وعلوم القرآن نجد أنه لم يخرج عما ذكره البلاغيون، **فقد عرَّفه الباقلاني بقوله:** "وباب آخر من البديع يسمى: "التذييل" وهو ضرب من التأكيد"(٢).

وعرَّفه الزركشي فقال التذييل هو: "أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول تحقيقًا لدلالة منطوق الأول، أو مفهومه ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم، ويكمل عند من فهمه كقوله - تعالى-:﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾(٣) أي: هل يجازى ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور فإن جعلنا الجزاء عامًا كان الثاني مفيدًا فائدة زائدة"(٤).

وقريب منه تعريف السيوطي؛ حيث عرفه بقوله: "هو أن يؤتى بجملة عقب جملة، والثانية تشتمل على المعنى الأول؛ لتأكيد منطوقه أو مفهومه؛ ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ويتقرر عند من فهمه"(٥).

ثانيًا: أهمية دراسته في القرآن الكريم:

التذييل في الكلام له موقع جليل، وهو سمة فريدة من سمات القرآن الكريم، تدل على بلاغته، وروعة آياته، وجمال ألفاظه، وتعين على فهم المعنى واستنباط الأحكام، وترجع أهمية دراسة التذييل في القرآن الكريم إلى عدة أمور أجملها في النقاط التالية:

---

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (٢٠٥/٣).

(٢) ينظر: إعجاز القرآن (ص١٠٢).

(٣) سورة سبأ الآية [١٧].

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٦٨/٣، ٦٩).

(٥) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٢٥٠/٣).

- الاستعانة بهذا العلم على فهم كتاب الله - تعالى- ذلك لأن دراسة أسلوب التذييل تعين على فهم معنى محكم التنزيل، وتبين كثيرًا من اللطائف والدقائق.
- إبراز جانب مهم من جوانب الإعجاز القرآني؛ لأنه بدراسة أسلوب التذييل تزداد المعاني جلاءً، وتتجلى لطائف الصلات ودقائق المناسبات بين الآيات بما يكشف عن الوحدة الموضوعية للقرآن، ويبرز جانبًا من جوانب إعجازه البلاغي، قال الدكتور دراز-رحمه الله-: "لعمري لئن كان للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب ترتيبه معجزات، وفي نبوءاته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية "معجزات" ومعجزات، لعمري إنه في ترتيب آيه على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات!" (١).
- بيان مُشْكَل التذييل، فقد تخفى وجوه المناسبة بين ختام الآية والسياق، وهنا تأتي أهمية دراسة هذا العلم لإيضاح المشكل، ودفع ما يوهم ظاهره التعارض.
- الرد على أعداء الاسلام في ادعائهم أن آيات القرآن لا يجمعها سياق وليس بينها وفاق.
- الاستعانة بهذا العلم في تثبيت حفظ القرآن؛ حيث يقع اللبس أحيانًا في ختام الآية فيعين هذا العلم على تجنب ذلك(٢).

(١) ينظر: النبأ العظيم (ص٢٨٤).

(٢) ينظر: بلاغة القرآن في تذييل الآيات دراسة تأصيلية للدكتور: أحمد الشرقاوي ص٤٢-٤٩ باختصار.

المطلب الثاني
أقسامه، وأغراضه

أولًا: أقسامه: قسَّم علماء البلاغة التذييل إلى أقسام باعتبارات:

(١) أقسام التذييل باعتبار الاستقلال وعدمه: ينقسم التذييل باعتبار الاستقلال وعدمه قسمين:

القسم الأول: ما يخرج مخرج المثل السائر، وهو: ما استقلّ معناه واستغنى عمّا قبله، **ومثاله قوله –تعالى-:﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾**[١] فقوله - تعالى-:﴿ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ تذييل أتى به لتأكيد الجملة قبله، وهو جارٍ مجرى المثل؛ بمعنى أن الجملة الثانية مستقلة بمعناها عن الجملة الأولى، وجارية على الألسنة كما تجري الأمثال التي كثر استعمالها وفشا، فهي لا تحتاج في إفادة معناها إلى الجملة السابقة[٢].

ومنه أيضًا قوله –تعالى-:﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[٣] فجملة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ مستقلة بمعناها عن الجملة قبلها، لا يتوقف فهمها على الجملة قبلها؛ ولذلك أظهر اسم الجلالة في مقام الإضمار.

"وقد جاء في السنة من هذا الباب قوله (ﷺ): "من همَّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن همَّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه، فإن

---

(١) سورة الإسراء الآية: [٨١].

(٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٢٠٧/٣) البلاغة العربية (٨٦/٢).

(٣) سورة التغابن الآية: [٨].

عملها كتبت عليه سيئة واحدة، ولا يهلك على الله إلا هالك"[١] فقوله (ﷺ): " ولا يهلك على الله إلا هالك "، تذييل في غاية الحسن، خرج الكلام فيه مخرج المثل"[٢].

القسم الثاني: ما لا يخرج مخرج المثل بأن تكون الجملة الثانية متوقفة على الأولى في إفادة المراد، **كقوله- تعالى-:** ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾[٣] فقوله - تعالى-: ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُور﴾ تذييل لقوله - تعالى-: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ﴾ وقد جاء هذا التذييل توكيدًا لما قبله لاشتماله على معناه، ولكنه غير مستقل بمعناه، ولا يفهم الغرض منه إلا بمعونة ما قبله؛ إذ المعنى: وهل نجازي ذلك الجزاء المخصوص، فيكون متعلقًا بما قبله[٤].

ومنه أيضًا قوله – تعالى-:"﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [٥] فقوله – تعالى-:﴿ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ تذييل غير جارٍ مجرى المثل؛ لعدم استقلاله بإفادة المراد وتوقفه على ما قبله.

وقد اجتمع القسمان في قوله –تعالى-:﴿ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾[٦] فقوله: ﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس (٣١٥/٤) حديث رقم (٢٥١٩) وقال محققه: (إسناده صحيح على شرط مسلم).

(٢) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن (ص٣٨٨).

(٣) سورة سبأ الآية: [١٧].

(٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٢٠٥/٣، ٢٠٦) البلاغة العربية (٨٦/٢).

(٥) سورة التغابن الآية: [٧].

(٦) سورة الأنبياء الآيتان: [٣٤، ٣٥].

﴿ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾، تذييل الضرب الثاني لتوقفه على ما قبله، وتعلقه به، وقوله: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ من الضرب الأول؛ لأنه حكم كلي منفصل عما قبله[١].

(٢) أقسام التذييل باعتبار دلالته:

ينقسم التذييل من حيث دلالته إلى قسمين: القسم الأول: ما يؤكد المنطوق[٢]: بأن يكون هناك اشتراك بين الجملتين في نفس اللفظ، **ومثاله قوله -تعالى-:** ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾[٣] فإن جملة: ﴿إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ جاءت متفقة من حيث مادة اللفظ مع قوله- تعالى-: ﴿وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ﴾.

ومنه أيضًا قوله -تعالى-: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾[٤] فجملة ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾ تذييل يؤكد منطوق الجملة التي جاءت قبلها.

القسم الثاني: ما يؤكد المفهوم[٥]: أي: ما كان سوقه من أجل تأكيد مفهوم الكلام، كقوله -تعالى-: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[٦] فجملة ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ تذييلٌ يؤكّد مفهوم الجملة التي جاءت قبلها

---

(١) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح (٣٥٤/٢).

(٢) المنطوق هو: ما دل عيه اللفظ في محل النطق ينظر: أصول الفقه لابن مفلح (١٠٥٦/٣).

(٣) سورة الإسراء الآية: [٨١].

(٤) سورة التغابن الآية: [٦].

(٥) المفهوم هو: ما دل عيه اللفظ لا في محل النطق ينظر: أصول الفقه لابن مفلح (١٠٥٦/٣).

(٦) سورة التغابن الآية: [١٦].

ومنه قول النابغة[١]:

ولسْتُ بمستبقٍ أخًا لا تَلُمّهُ ... على شعث، أيّ الرجالِ المُهَذَّبُ؟[٢]

فإن صدره دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال فحقق ذلك وقرره بعجزه[٣].

ثانيًا: أغراضه:

المتأمل في التذييل القرآني يجد أنه لم يأت مجرد توافق ألفاظ، ولا لمناسبة لفظية مرغوبة، كمراعاة للفاصلة فحسب بل بالنظر في أقوال العلماء السابقة في تعريف التذييل[٤]؛ نجد أن للتذييل غرضًا عامًا، وهو **تأكيد المعنى وتقريره وتقوية أمره،ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾**[٥]

فجملة ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ تذييلٌ لما قبلَها مقررةٌ لمضمونِهِ، أيْ: عليمٌ بهِم، وبِمَا صدَرَ عَنْهُم من فنونِ الظلمِ والمعَاصِي المفضيةِ إلى أفانينِ العذابِ، وبِمَا سيكونُ منهُم منَ الاحترازِ عَمَّا يؤدِّي إلى ذلكَ فوقعَ الأمر كما ذكر فلم يتمنَّ أحدٌ منهُم موتَه"[٦].

---

(١) ينظر: ديوان النابغة (ص٢٨).

(٢) بمستبق: من استبقى: عفا عن ذنوبه. الشعث: الفساد، والعيب. أي الرجال المهذب: أي من هو الإنسان الخالي من كل عيب . ينظر: المرجع السابق الموضع نفسه.

يقول: أَي الرِّجَال يكون مبرأ من الْعُيُوب فَإِن قطعت إخوانك بذنب لم يبْق لَك أَخ. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٤٦٩/٩).

(٣) ينظر: الايضاح في علوم البلاغة (٢٠٨/٣)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٦٢/٣).

(٤) ينظر تعريف التذييل (ص١٤٢٩، ١٤٣٠) من هذا البحث.

(٥) سورة الجمعة [الآية: ٧].

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢٤٨/٨).

ومنه أيضًا قوله –تعالى-: ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[1] فقوله - تعالى-: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله من شمولِ علمِهِ تعالَى لسرِّهم وعلنِهم؛ لأنه سبحانه إذا علم السرائر، وخفيات الضمائر، لم يخف عليه خافية من جميع الكائنات.

ومن ذلك أيضًا قوله- تعالى-: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2] فجملة ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ تذييل مقررة لما تضمنته الآية الكريمة ومؤكدة له.

قلت: بالتطبيق العملي للآيات التي احتوت على هذا النوع من البلاغة القرآنية من سورة التغابن، واطلاعي على كلام بعض المفسرين ممن اعتنوا بهذا الفن في الآيات التي ورد فيها، تبين أن التذييل قد يتجاوز هذا الغرض لأغراض أخرى، تضفي على المعنى أمرًا زائدًا وجمالًا، **وهذا ما نبَّه إليه ابن عاشور بقوله:** "فالتذييل ضرب من ضروب الإطناب من حيث يشتمل على تقرير معنى الجملة الأولى، ويزيد عليه بفائدة جديدة لها تعلق بفائدة الجملة الأولى"[3].

(١) سورة التغابن [الآية: ٤]. ينظر دراسة هذا الموضع في (١٤٦٣) من هذا البحث.

(٢) سورة التغابن [الآية: ١١]. ينظر دراسة هذا الموضع في (ص١٤٨٠) من هذا البحث.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير(٦٦٧/١).

وهذا عرض موجز للأغراض التي وقفت عليها:

١- **التعليل**: قد يرد التذييل بغرض التعليل لما سبق من الكلام كقوله –تعالى-: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[١]، فقوله –تعالى-: ﴿ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ تذييل في موضع العلة" لنزول العذاب بالمنافقين، فالعذاب الشديد المهيأ لهم سببه سوء أعمالهم في الدنيا، واستحبابهم العمى على الهدى"[٢].

ومن ذلك أيضًا قوله- تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾[٣] فقوله - تعالى-: ﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾ في محل التعليل لمضمون الآية، والمعنى: والله غني في ذاته محمود فيما فعل، فما فعل بهم من إذاقتهم وبال أمرهم وتعذيبهم بعذاب أليم على كفرهم وتوليهم من غناه وعدله ؛لأنه مقتضى عملهم المردود إليهم[٤]"[٥].

٢- **تحقيق البشارة أو الوعد والوعيد**: قد يأتي التذييل كذلك لتحقيق البشارة أو تبيين الوعد والوعيد، **ومن ذلك قوله –تعالى-:**﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[٦] فجملة ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ تذييلٌ لما سبق فيه وعيدٌ شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نُهُوا عنه[٧].

---

(١) سورة المجادلة [الآية: ١٥].

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور /محمد سيد طنطاوي (٢٦٩/١٤).

(٣) سورة التغابن [الآية: ٦].

(٤) ينظر: الميزان في تفسير القرآن (٣١٢/١٩).

(٥) ينظر دراسة هذا الموضع في (ص١٤٦٧) من هذا البحث

(٦) سورة البقرة [الآية: ١٠٤].

(٧) ينظر: إرشاد العقل السليم (١٤١/١).

ومنه أيضًا قوله تعالى ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾[١] فجملة ﴿ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ "تذييلٌ لما قبلَها مشتمِلٌ على الوعد والوعيد"[٢].

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٣] فجملة ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ مبينة لوجه القصر في قوله - تعالى-:﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ ﴾ "فإن التقدير على كل شيء هو صاحب الملك الحق وهو المختص بالحمد الحق، وفي هذا التذييل وعد للشاكرين ووعيد وترهيب للمشركين"[٤].

٣- **التعريض**[٥]: قد يحمل التذييل في معناه التعريض، كما في قوله - تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٦] فجملة ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ "تذييلٌ مقرِّرٌ لمضمونِ ما

---

(١) سورة البقرة [الآية: ٢٦٣].

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢٥٨/١).

(٣) سورة التغابن [الآية:١].

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦١/٢٨، ينظر دراسة هذا الموضع في (ص١٤٥٦) من هذا البحث.

(٥) التعريض: هو طريقة من الكلام أخفى من الكناية، فلا يشترط في التعريض لزوم ذهني ولا مصاحبة ولا ملابَسَةٌ بين معنى الكلام وما يُراد الدلالة به عليه، إنّما قد تكفي فيه قرائن الحال، وما يُفْهَم ذهنًا بها من توجيه الكلام. كأن يقول الراغب بخطبة امرأة معينة، كُلُّ رَجُلٍ راغبٍ في الزّواج يحبُّ أنْ تكون هذه المرأة زوجةً له، تَعْرِيضًا بأنّه يرغب في الزواج منها ينظر: البلاغة العربية (١٢٧/٢).

(٦) سورة البقرة [الآية: ٢٦٤].

قبله، وفيه تعريضٌ بأن كلاًّ من الرياء والمنّ والأذى من خصائص الكفارِ ولا بد للمؤمنين أن يجتنبوها"[١].

ومن ذلك أيضًا قوله- تعالى-:﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾[٢] فجملة ﴿ وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ اعتراضٌ تذييليٌّ مقرِّرٌ لما قبله ومصرِّحٌ بما أفاده ذلك بطريقِ التَّعريضِ من أنَّ مآل أمر المُستعجلين أيضًا ما ذُكر من الأخذِ الوبيلِ، أي: إلى حُكمي مرجعُ الكُلِّ جميعًا لا إلى أحدٍ غيري لا استقلالاً ولا شركة فأفعل بهم ما أفعل ممَّا يليقُ بأعمالِهم[٣].

٤- التهويل، قد يحمل التذييل في معناه التهويل، كما في قوله-تعالى-:﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[٤] فجملة "﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ تذييلٌ لإظهار نهايةِ فظاعةِ حالِهم ببيان خلودِ عذابِهم بفُقدان من ينصُرهم ويقوم بتخليصهم"[٥].

٥- التقبيح والتوبيخ، كما في قوله -تعالى-: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٦] فجملة ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾"تذييلٌ مَسوقٌ من جهتِه تعالَى لهم لتقبيح حالهم"[٧].

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢٥٩/١).

(٢) سورة الحج [الآية: ٤٨].

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (١١٢/٦).

(٤) سورة آل عمران [الآية: ١٩٢]

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم (١٣١/٢).

(٦) سورة الأنعام[الآية: ١٢].

(٧) ينظر: إرشاد العقل السليم (١١٥/٣).

ومن ذلك أيضًا قوله- تعالى-:﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[١]فجملة﴿ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾"اعتراضٌ تذييليٌّ مسوقٌ لتقبيح حالِ المخاطَبين"[٢].

٦- **رد بعض المعاني التي قد ترد في ذهن السامع أو القارئ**: قد يكون الكلام محتملًا لشيء بعيد فتأتي جملة التذييل بما يدفع ذلك الاحتمال، كما في قوله - تعالى-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[٣] فجملة ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ رد على من يَتَوَهَّمَ أن تَقْسِيمِهِمْ إِلَى فَرِيقَيْنِ أَنَّ ذَلِكَ رِضَى بِالْحَالِينِ كَمَا حُكِيَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ ﴾[٤].

وقد يكون هناك لبس عند المخاطب فتأتي جملة التذييل لإزالة ذلك اللبس ومن ذلك قوله –تعالى-: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [٥] فجملة ﴿ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ تذييلية المقصود بها إزالة ما توهموه وزعموه من أن البعث أمر محال، كما قالوا: ﴿ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ ﴾ [٦] أي: وذلك البعث والحساب، يسير وهين على الله- تعالى-؛ لأنه- سبحانه- لا يعجزه شيء، ولا يحول دون تنفيذ قدرته حائل[٧].

---

(١) سورة الأعراف[الآية: ٣].

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢١١/٣).

(٣) سورة التغابن [الآية: ٢].

(٤) سورة الزخرف الآية: [٢٠]. ينظر دراسة هذا الموضع في (ص١٤٥٩) من هذا البحث.

(٥) سورة التغابن [الآية: ٧].

(٦) سورة السجدة الآية: [١٠].

(٧) ينظر: التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور /محمد سيد طنطاوي (٤٢٧/١٤) بتصرف .

٧- الترغيب والتشويق: قد يأتي التذييل للترغيب في أمر ما، كالترغيب في الإنفاق في سبيل الله كما في قوله –تعالى-:﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾(١) فجملة ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ تذييل للكلام يحمل معنى الترغيب في الإنفاق في سبيل الله"(٢).

ومثله قوله –تعالى-: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) فجملة ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ تذييلية الغرض منها التحريض على البذل والإنفاق في سبيل الله.

وقد يأتي التذييل كذلك للترغيب في العمل الموجب للمغفرة كما في قوله- تعالى-: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾(٤) حيث ذيلت الآية الكريمة بجملة ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ للترغيب في العمل الموجب للمغفرة، بعد الترهيب الموجب للحذر(٥).

٨– التسلية للرسول (ﷺ) والمؤمنين، كما في قوله -تعالى-:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا

(١) سورة سبأ الآية: [٣٩].
(٢) ينظر: أيسر التفاسير (٣٢٦/٤).
(٣) سورة التغابن [الآية: ١٦]. ينظر دراسة هذا الموضع في (ص١٤٩٤) من هذا البحث.
(٤) سورة الزمر الآية: [٥].
(٥) ينظر: التفسير المنير (٢٥٠/٢٣).

بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴾ [١] فجملة ﴿ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً ﴾ تذييلية الغرض منها التسلية للرسول (ﷺ) والمؤمنين من أجل ما يلاقون من عناد المشركين وأذاهم"[٢].

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [٣]فجملة ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ تذييل للجملة قبلها، وهي تفيد تقرير البعث والجزاء وهما مما ينكر المشركون كما تفيد التسلية للرسول (ﷺ) والتهديد للكافرين أيضًا فإن من صار إلى الله أخذه بذنبه[٤].

٩- الإجمال بعد التفصيل: قد تأتي جملة التذييل بغرض إجمال ما فصل والنتيجة لما سبق من الكلام والتفريع عليه، وهو ما يسمى بالفذلكة[٥] كقوله - تعالى- :﴿ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ [٦] فهذه

(١) سورة الفرقان الآية: [٢٠].

(٢) ينظر: أيسر التفاسير (٣٠٦/٣).

(٣) سورة فاطر الآية: [١٨].

(٤) ينظر: أيسر التفاسير (٣٤٨/٤).

(٥) هي في كلام العلماء يراد بها إجمال ما فصّل أولا، ويقال أيضًا: إنّ الفذلكة بمعنى مجمل الكلام وخلاصته، وقد يراد بها النتيجة لما سبق من الكلام والتفريع عليه . ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١٢٦٤/٢)

(٦) سورة الحشر الآية: [٢٠].

الآية الكريمة "تذييل لما سبقها[١] وهي كالفذلكة لما تقدم من الأمر بتقوى الله -ﷻ- وبيان حال المتقين الذاكرين والناسين الفاسقين"[٢].

١٠- **الإنكار ومنه قوله تعالى** ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٣] "فقوله - تعالى-: ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ تذييل لإنكار ذلك الحسبان، أي: لا تحسبوا ذلك مع علمكم بأن الله خبير بكل ما تعملونه"[٤].

١١- **التهديد ومنه قوله تعالى** ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[٥] "فقوله –تعالى-: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ تذييل، والواو اعتراضية وهذا تهديد بأنهم فضلوا قرابتهم وأموالهم على محبة الله ورسوله وعلى الجهاد فقد تحقق أنهم فاسقون والله لا يهدي القوم الفاسقين"[٦].

---

(١) قوله –تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر الآيتان:١٨،١٩].

(٢) ينظر: أيسر التفاسير (٣١٥/٥).

(٣) سورة التوبة الآية: [١٦].

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١٣٩/١٠).

(٥) سورة التوبة الآية: [٢٤].

(٦) ينظر: التحرير والتنوير (١٥٤/١٠).

١٢- تنبيه المسلمين لأمر ما أراده الله -ﷻ- ومنه قوله- تعالى-: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١] فقوله –تعالى-: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ تذييل قصد منه إعلام المسلمين بأن الله يعلم أحوال المنافقين الظالمين؛ ليكونوا منهم على حذر، وليتوسموا فيهم ما وسمهم القرآن به، وليعلموا أن الاستماع لهم هو ضرب من الظلم[٢].

١٣- التعجب ومنه قوله- تعالى-:﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٣] فالآية الكريمة "تذييل للتعجيب من استمرارهم على الكفر بعد ما ظهر لهم من الحجج والآيات، وتأييس من إيمانهم بإفادة أن انتفاء الإيمان عنهم بتقدير من الله تعالى عليهم فقد ظهر وقوع ما قدره من كلمته في الأزل"[٤].

١٤- المدح، ومنه قوله - تعالى-:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٥] فجملة ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ "تذييل سيق من جهته تعالى مدحًا للراسخين بجَوْدة الذهن وحسنِ النظر، وإشارة إلى ما به استعدوا للاهتداء إلى تأويله من تجرد العقلِ عن غواشي الحِسّ"[٦].

---

(١) سورة التوبة الآية: [٤٧].

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢١٨/١٠).

(٣) سورة يونس الآية: [٣٣].

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١٥٩/١١).

(٥) سورة آل عمرن الآية: [٧].

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٨/٢).

وبعد: فهذا عرض موجزلبعض أغراض التذييل، نستنتج من خلاله:

- أن التذييل كثير الوقوع في القرآن الكريم يدركه من تتبع مواقعه.
- أهمية التذييل وقيمته التي لا تنكر في بيان المراد من الكلام وتقريره وتأكيد معناه.
- أن للتذييل في كل موطن من مواطنه غرضًـــا عامًا -تقرير معنى الجملة الأولى- ويزيد عليه بفائدة جديدة لها تعلق بفائدة الجملة الأولى.

المطلب الثالث

الفرق بين التذييل والفاصلة

الفاصلة من المصطلحات القرآنية التي تتشابك مع التذييل، لذلك من الضروري معرفة العلاقة بينهما:

الفاصلة لغة: الفصل بين الشيئين المتصلين، قال ابن فارس: (فصل) الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء وإبانته عنه. يقال: فصلت الشيء فصلاً[١].

الفاصلة في الاصطلاح:

اختلف العلماء في تعريف الفاصلة، فعرفها الرُمَّاني بأنها: (حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعنى)[٢].

وقريب منه تعريف الباقلاني؛ حيث قال:" الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني"[٣] **وعرفها الزركشي بأنها**: "كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع"[٤]. **بينما ذهب أبو عمرو الداني إلى أن الفاصلة** "كلمة آخر الجملة"[٥].

وبالنظر في هذه التعريفات؛ نجد أن الفرق بينهم واضح؛ حيث إنها على التعريفات الثلاثة الأولي هي آخر الآية وهو المعمول به، وأما على تعريف الدَّاني فليست مختصة بآخر الآية، وإنما قد تأتي في أولها ووسطها أو آخرها فهي آخر الجملة، وهذا يُعد عيبًا حيث أدخل الفاصلة اللغوية مع الفاصلة الاصطلاحية.

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة –فصل الفاء والصاد وما يثلثهما –مادة (فصل)(٤/٥٠٥).

(٢) ينظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني (ص٩٧).

(٣) ينظر: إعجاز القرآن للباقلاني (ص٢٧٠).

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن (١/٥٢).

(٥) ينظر: المرجع السابق الموضع نفسه.

لذلك ورد على هذا التعريف اعتراضات لعلَّ أهمها ما ذكره الجعبري[١] حيث قال كما جاء في البرهان:- "هو خلاف المصطلح ولا دليل له في تمثيل سيبويه ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾[٢] و﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾[٣] وليسا رأس آي؛ لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية"[٤].

من خلال ما سبق نستطيع القول بأن: "الفاصلة قد تكون أعم من التذييل؛ لأنه لا يكون إلا جملة، وبهذا لا يتحقق التذييل في كل الآيات القرآنية، أما الفاصلة فيمكن أن تكون كلمة واحدة تشكل آية بنفسها، ويمكن أن تشكل آخر كلمة في التذييل، ويمكن أن تكون هي جملة التذييل. وقد تكون الفاصلة جزءًا من التذييل؛ لأنها تعد آخر كلمة فيه، فبينهما عموم وخصوص وجهي"[٥].

(١) هو إِبْرَاهِيم بن عمر بن إِبْرَاهِيم الشَّيْخ برهَان الدّين الجعبري، أَبُو إِسْحَاق، من فقهاء الشافعية، عالم بالقراءات، صنف تصانيف كَثِيرَة مِنْهَا: شرح الشاطبية، وَشرح والرائية، توفّي فِي شهر رَمَضَان سنة اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعمائة. ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/٢٤٣، ٢٤٤).

(٢) سورة هود الآية: [١٠٥].

(٣) سورة الكهف الآية: [٦٤].

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن (١/٥٢).

(٥) ينظر: من أسرار التذييل في سورة الجمعة (ص٩٩٨).

المطلب الرابع
مظاهر اعتناء المفسرين بهذا النوع من البلاغة القرآنية في كتب التفسير

إن الناظر في كتب التفسير؛ يجد مدى عناية المفسرين بهذا الفن من البلاغة القرآنية، لا سيما من يعتبر أن العناية بالبلاغة القرآنية تعتبر قاعدة أساسية في فهم النص القرآني، ومن هؤلاء المفسرين:

الإمام أبو السعود (ت:٩٨٢هـ): اعتنى الإمام أبو السعود في تفسيره بهذا النوع من البلاغة القرآنية، ويقفي بالغرض من وجوده في الآية **فعند تفسيره لقوله – تعالى-:** ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[١] قال﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ أيْ: بهم، والجملةُ تذييلٌ لما قبلَها مقررةٌ لمضمونِهِ أيْ: عليمٌ بهم وبِمَا صدَرَ عَنْهُم من فنونِ الظلمِ والمعَاصِي المفضيةِ إلى أفانينِ العذابِ، وبِمَا سيكونُ منهُم منَ الاحترازِ عَمَّا يؤدِّي إلى ذلكَ فوقعَ الأمرُ كما ذكرَ[٢].

وعند تفسيره لقوله- تعالى-:﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٣] قال" وقولُه -تعالَى:-﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ اعتراضٌ تذييليٌّ مقرّرٌ لما قبلَهُ من شمولِ علمِهِ –تعالَى- لسرِّهم وعلنِهم"[٤].

والإمام الألوسي (ت١٢٧٠) لم يترك هذه الدرة البديعة دون الحديث عنها، فنظمها، وأجلى محاسنها، وبين الغرض من مجيئها، فعند تفسيره لقوله-تعالى-:

(١) سورة البقرة الآية: [٩٥].

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (١٣٢/١) بتصرف.

(٣) سورة التغابن الآية: [٤].

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢٥٦/٨).

﴿قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[١] قال: "وقوله –سبحانه-:﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ تذييل مقرر لما قبله أي: مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ما أخفوه من الكفر عند إظهارهم الإيمان"[٢].

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[٣] قال: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي: لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة، فالجملة تذييل إثباتًا لسعة قدرته -ﷻ- كل شيء فضلًا عن السماء"[٤].

وجمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ) في تفسيره: يعد جمال الدين القاسمي من أكثر المفسرين المبرزين لهذا الأسلوب في تفسيره؛ فقد وردت عنه إشارات واضحة له، **فمثلًا عن تفسيره لقوله –تعالى-: ﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾**[٥] قال "﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ اعتراض تذييليّ مقرر لما قبله، وفيه إيذان بأنه -ﷻ- كان هو الشهيد على الكل، حين كونه ﷺ فيما بينهم"[٦].

(١) سورة الحجرات الآية: [١٦].
(٢) ينظر: روح المعاني (٣١٩/٣٤).
(٣) سورة الذاريات الآية: [٤٧].
(٤) ينظر: روح المعاني (١٨/١٤).
(٥) سورة المائدة الآية: [١١٧].
(٦) ينظر: محاسن التأويل (٣٠١/٤).

وعند تفسيره لقوله –تعالى-﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١]. قال "وقوله - تعالى-: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر، مشير إلى أن بهم حاجة إلى المغفرة، وإن كان تخلفهم بعذر"[٢].

وها هو العلامة الطاهر بن عاشور(ت:١٣٩٣هـ) في تفسيره: يدلي بدلوه كعادته في إبراز الجوانب البلاغية التي تحتوى عليها الآية الكريمة، ومنها التذييل؛ فنجده أشار إليه في (٨٠٩) موضعًا[٣][٤]، ولا غرو في ذلك؛ لأن الهدف الذي ينشده ابن عاشور في تفسيره ويسعى لتحقيقه هو الكشف عن النكات القرآنية[٥]، وهذا لا يعرف إلا بالتفكر في علوم البلاغة الثلاثة.

---

(١) سورة التوبة الآية: [٩١].

(٢) ينظر: محاسن التأويل (٤٧٧/٥)

(٣) أعدَّ حصر هذه المواضع أ.د/ مصطفى أحمد، أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا في بحثه: أسرار التذييل في الربع الثالث من سورة النساء (ص٤٨).

(٤) ومن هنا كان دراسة هذا الأسلوب في هذا التفسير محل عناية الباحثين والدراسين؛ ومن الدراسات التي وقفت عليها في هذا الموضوع. التذييل عند ابن عاشور في تفسيره دراسة موضوعية تحليلية سورة البقرة نموذجًا بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان، العدد الرابع، ذو القعدة ١٤٤٢هـ،٢٠٢١م إعداد الدكتور مصعب بن عبد اللطيف.

(٥) **كما صرح بذلك في مقدمة تفسيره؛ حيث قال:** "إن أكبر أمنيتي منذ أمدٍ بعيدٍ، تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين، وَمَوثِق شديد العُرَى من الحق المتين، والحاوي لكلِّيَّات العلوم ومعاقد استنباطها، والآخذ قوس البلاغة من محل نِيَاطها، طمعًا في بيان نُكت من العلم وكلِّيَّات من التشريع، وتفاصيل من مكارم الأخلاق، كان يلوح أنموذج من جميعها في خلال تدبره، أو مطالعة كلام مفسره...، ثم قال: "فجعلت حقًّا عليَّ أن أبدي في تفسير القرآن نُكتًا لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها، فإن الاقتصار على الحديث المُعَاد، تعطيل لفيض القرآن الذي ماله من نفاد، ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين: رجل معتكف فيما أشاده الأقدمون، وآخر آخذ بِمِعْوَلِه في هدم ما مضت عليه القرون، وفي كلتا الحالتين ضرّ كثير، وهنا لك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نَعمِد إلى ما شاده الأقدمون فنهذِّبَه ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نُبيدَه، عالمًا بأن غمض فضلهم كفران للنعمة، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة، فالحمد لله الذي صَدَق الأمل، ويسَّر إلى هذا الخير ودلّ". ينظر: التحرير والتنوير (٧-٥/١).

فمثلًا عند تفسيره لقوله- تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ حَمِيدٌ غَنِيٌّ ﴾[١] قال "جملة ﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ تذييل، أي: غني عن كل شيء فيما طلب منهم، حميد لمن امتثل وشكر"[٢].

ومن الأمثلة أيضًا ما جاء عند تفسيره لقوله –تعالى-: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾[٣] قال "وجملة ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ تذييل"[٤].

وبعد: فهذه لمحة موجزة لأبرز المفسرين الذين اعتنوا بهذا الفن – التذييل - من البلاغة القرآنية يتضح لنا من خلالها ما لهذا الأسلوب من مكانة كبيرة عند المفسرين، ولهذا اهتموا به في كتبهم، وتناولوه بالدراسة مبينين الغرض منه كما بدا ذلك في المطلب الثاني من هذا المبحث.

(١) سورة التغابن الآية: [٦].

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: (٢٧٠/٢٨).

(٣) سورة التغابن الآية: [٧].

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٢٧٢/٢٨).

المبحث الثاني
الدراســـة التطبيقيــة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بسورة التغابن.

المطلب الثاني: أسرار التذييل في السورة الكريمة.

المطلب الأول
التعريف بسورة التغابن

أولًا: اسم السورة الكريمة:

سميت هذه السورة الكريمة بسورة التغابن، ولا يعرف لها اسم غيره[١].

ووجه تسميتها بهذا الاسم: وقوع لفظ التغابن فيها ولم يقع في غيرها من سور القرآن[٢].

فقد تحدثت عن أعظم غبن يلحق الإنســـان حين يؤثر الدنيا الفانية ويضــيع الآخرة الباقية.

ثانيًا: نوع السورة، وعدد آياتها:

الجمهور على أنها مدنية[٣] وذكر بعض المفسرين أنها مختلف فيها[٤] وكذا عدَّها السيوطي في الاتقان في عداد السور المختلف فيها[٥].

عدد آياتها: ثماني عشرة آية (١٨) في عد الجميع، ولا خلاف عندهم في شيء منها[٦].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٥٨/٢٨.

(٢) ينظر: المرجع السابق الموضع نفسه.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٣/٥) تأويلات أهل السنة (٣٠/١٠) روح المعاني ٣١٤/١٤.

(٤) ينظر: الكشف والبيان (٣٢٥/٩)تفسير السمعاني (٤٤٨/٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٥٤٥/٤).

(٥) ينظر: الاتقان في علوم القرآن (٥١/١).

(٦) ينظر: البيان في عد آي القرآن (ص٢٤٨).

ثالثًا: ما اشتملت عليه السورة الكريمة:

١- ابتدأت ببيان بعض صفات الله الحسنى المتصلة بجلال الله وقدرته وعلمه وخلقه الإنسان الذي يؤول أمره إلى أحد قسمين: مؤمن وكافر.

٢- أنذرت الكفار بما حل بالأمم الماضية التي كذبت الرسل بسبب بشريتهم، وإنكارهم البعث، والرد عليهم بقسم الله بوقوعه وأنه حق، وبجزائه على الأعمال.

٣- دعت إلى الإيمان بالله تعالى والرسول(ﷺ) والقرآن النور الذي أنزله على نبيه.

٤-هدَّدت بما يلقاه الناس يوم القيامة يوم يغبن فيه الكافر بتركه الإيمان، ويغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان، ويدخل المؤمنون الذين يعملون الصالحات الجنان، ويدخل الكافرون النيران، وفي ذلك أمر بالطاعة وتحذير من المعصية.

٥- أبانت أن كل ما يحدث في الكون بإرادة الله – تعالى- ومشيئته.

٦- أكدت الأمر بطاعة الله تعالى والرسول (ﷺ) والتوكل على الله وحده، فإن أعرضوا فلا يضير رسول الله (ﷺ) بقاءهم على الكفر.

٧ - حذَّرت من عداوة بعض الأزواج والأولاد الذين يمنعون الإنسان أحيانًا عن الجهاد.

٨- أوصت بالعفو والصفح عن المسيء، وأخبرت بأن الأموال والأولاد فتنة واختبار.

٩- ختمت بالأمر بالتقوى والإنفاق في سبيل الله لإعلاء دينه، وحذرت من الشح والبخل، وأبانت مضاعفة الثواب للمحسنين المنفقين من أجل إعلاء كلمة الله تعالى[١].

رابعًا: مناسبة سورة التغابن لما قبلها:

الصلة بين سورة التغابن وسورة المنافقون: صلة واضحة جلية، من ذلك:

١- حذَّرت السورتان من فتنة المال والولد، قال –تعالى- في سورة المنافقون ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾[٢] وقال سبحانه في سورة

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٢٨/٢٣٣، ٢٣٤).

(٢) سورة المنافقون الآية: [٩].

التغابن ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾[١] وهذه الجملة كالتعليل لتلك الجملة؛ ولذا ذكرت على ترتيبها[٢].

٢- لمَّا كشفت سورة المنافقون عما يضمره المنافقون من كفر، جاءت سورة التغابن مقررة لمعاني الإيمان ومرسخة له، قال - تعالى-:﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[٣]،[٤].

٣- حديث السورة السابقة عن النفاق والمنافقين، وحديث هذه السورة عن الكفار، ومن قبلهما جاء الحديث في سورة الجمعة عن اليهود، وفي هذا تنبيه على وجوب معرفة العدو ومواجهته[٥].

٤- لمَّا وقع في آخر سورة المنافقون: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾[٦] عقَّب بسورة التغابن؛ لأنه قيل في معناه: إن الإنسان يأتي يوم القيامة، وقد جمع مالًا، ولم يعمل فيه خيرًا، فأخذه وارثه بسهولة، من غير مشقة في جمعه، فأنفقه في وجوه الخير، فالجامع محاسَب معذَّب مع تعبه في جمعه، والوارث منعَّم مثاب، مع سهولة وصوله إليه، وذلك هو التغابن فارتباطه بآخر السورة المذكورة في غاية الوضوح؛

(١) سورة التغابن الآية: [١٥].
(٢) ينظر: أسرار ترتيب القرآن (ص١٤٣).
(٣) سورة التغابن الآيتان [٨،٩].
(٤) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن (٨/١٩٠،١٩١).
(٥) ينظر: المرجع السابق (٨/١٩٠).
(٦) سورة المنافقون الآية [١٠].

ولهذا قال هنا: ﴿ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾"[1][2].

٥- أنه في السورة السابقة ذكر حال المنافقين وخاطب بعد ذلك المؤمنين، وهنا قسَّم الناس قسمين: مؤمنًا وكافرًا "ليقرر هذه الحقيقة العاملة في الناس، والمفرقة بينهم في مقام الكفر والإيمان، والضلال، والهدى، فهكذا خلقهم الله كافرين، ومؤمنين، وفي هذا إلفات للمؤمنين الذين رأوا في صور المنافقين ما يكره ويذم إلى فضل الله عليهم، وأنه سبحانه خلقهم للإيمان، وهداهم إليه، ولو شاء سبحانه لجعلهم في هؤلاء المنافقين، وألبسهم ثوب النفاق وهم في عالم الخلق والتكوين"[3].

وفي بيان هذا الوجه يقول أبو حيان: "مناسبة هذه السورة لما قبلها: أن ما قبلها مشتمل على حال المنافقين، وفي آخرها خطاب المؤمنين، فأتبعه بما يناسبه من قوله- تعالى-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[4]،[5].

٦- بيَّنت سورة المنافقون تولي المنافقين وإعراضهم عن الرسول(ﷺ)، ثم جاءت سورة التغابن داعية إلى طاعة الله ورسوله والتأدب معه (ﷺ) قال – تعالى- في سورة المنافقون﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ﴾[6]، وقال سبحانه في سورة التغابن ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[7].

---

(١) سورة التغابن الآية [١٦].

(٢) ينظر: أسرار ترتيب القرآن ص١٤٣.

(٣) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (١٤/٩٧٠) بتصرف.

(٤) سورة التغابن الآية: [٢].

(٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير (١٠/١٨٨).

(٦) سورة المنافقون الآية: [٥].

(٧) سورة التغابن الآية: [١٢].

المطلب الثاني

أسرار التذييل في السورة الكريمة

الموضـــع الأول: قولـه –تعـالى-: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [الآية: ١].

المعنى الإجمالي للآية: قوله -ﷻ-: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ ﴾ يعني أنه تعالى متصرف في ملكه كيف يشاء تصرف اختصاص لا شريك له فيه، وله الحمد ؛لأن أصول النعم كلها منه، وهو الذي يحمد على كل حال فلا محمود في جميع الأحوال إلا هو ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ يعني أنه ﷻ يفعل ما يشاء كما يشاء بلا مانع ولا مدافع(١).

جملة التذييل: قوله تعالى ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ يقول ابن عاشور: "وجملة ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ معطوفة على اللتين قبلها وهي بمنزلة التذييل لهما"(٢).

فائدة هذا التذييل، وصـــلته بالآية: جملة ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ مبينة لوجه القصـــر(٣) في قوله - تعالى-:﴿ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ ﴾ "فإن التقدير على كل شـــيء هو صاحب الملك الحق وهو المختص بالحمد الحق، وفي هذا التذييل وعد للشاكرين ووعيد وترهيب للمشركين"(٤).

---

(١) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (٣٠١/٤).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير(٢٦١/٢٨).

(٣) حيث قدم الظرفين فيهما للدلالة على اختصاص الأمرين به من حيث الحقيقة؛ لأنه مبدئ كل شيء والقائم به، وكذا الحمد؛ لأن أصول النعم وفروعها منه، وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده. ينظر: أنوار التنزيل (٢١٧/٥)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل(٤٩٠/٣).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٢٦١/٢٨).

من أسرار التذييل بجملة ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾.

بالنظر في هذا التذييل نجد أنه أفاد عددًا من الأسرار منها ما يلي:

١- عُطفت جملة التذييل بالواو على الجملتين قبلها " وكان حق التذييل أن يكون مفصولًا؛ لقصد إيثار الإخبار عن الله – تعالى- بعموم القدرة على كل موجود، وذلك لا يفيت قصد التذييل؛ لأن التذييل يحصل بالمعنى"(١).

٢- "تقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ والأصل أن يقدم العامل على المعمول فيقال: (وهو قدير على كل شيء)، وقد يعكس ذلك فيقدم المعمول على العامل كما في الآية التي معنا لاعتبارات شتى منها: رعاية السجع والفاصلة كقوله -تعالى-: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾(٢) والشاهد في الجملة الثانية، حيث قدم المفعول على الفعل لتتوافق الفاصلتان في الجملتين، ونحوه الآية هنا حيث تقدم المجرور على عامله "للرعاية على الفاصلة المبنية على حرفين بينهما حرف مد"(٣)، ومنها: الاهتمام بالمقدم نحو: حسن الخلق لزمت، ومثله كذلك الآية هنا حيث تقدم فيها المجرور على عامله "للاهتمام بما فيها من التعميم"(٤) إلى غير ذلك من الأسباب التي تستدعي التقديم، ولا تخفى على صاحب الذوق السليم(٥).

٣- اقتصر على "ذكر وصف قدير هنا؛ لأن المخلوقات التي تسبح الله دالة على صفة القدرة أولًا ؛ لأن من يشاهد المخلوقات يعلم أن خالقها قادر"(٦).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٥٩/٢٧).

(٢) سورة الحاقة الآيتان [٣٠،٣١].

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٢٠/٧).

(٤) ينظر: المرجع السابق (١١/٢٩).

(٥) لمعرفة المزيد من هذه الأغراض. ينظر: علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص١٠٦-١٠٨) بتصرف، المنهاج الواضح للبلاغة (٦٥/٢-٦٧) بتصرف.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير (٢٦١/٢٨).

٤- وإنما قال (قدير)، ولم يقل (قادر)؛ لأن (قدير) من صيغ المبالغة على وزن فعيل، فحيث عمم القدرة كما في جملة التذييل هنا، أو أطلقها كقوله – تعالى-:﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴾[١] يستعمل صيغ المبالغة، ومتى قيَّدها قال (قادر) كقوله- تعالى-:﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ ﴾ [٢] حيث قيدت بإنزال العذاب[٣].

الدروس المستفادة من جملة التذييل:

١. في جملة التذييل دلالة على قدرة الله الشاملة لكل شيء فلا يعجزه شيء سبحانه فهو الذي على كل شيء قدير .
٢. يجب على العبد أن يتوكل على الله ويستعين به، وأن يتبرأ من حوله وقوته إلى حول وقوة من هو على كل شيء قدير.
٣. ينبغي التسليم فيما تحار فيه العقول، ومن ذلك أمور الغيب في الآخرة والبرزخ وعذاب القبر فإنه ﷻ على كل شيء قدير[٤].
٤. تسبيح الله تعالى وتنزيهه عن كل ما لا يليق بذاته، وتعظيمه تعالى وتمجيده، فهو تعالى المتفرد بالملك المستوجب للحمد.

(١) سورة الروم الآية: [٥٤].

(٢) سورة الأنعام الآية: [٣٧].

(٣) ينظر: لمسات بيانية من سورة الحديد بتصرف يسير، بحث منشور في موقع www.startimes.com.

(٤) ينظر: وقفات مع القاعدة القرآنية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾(البقرة: ٢٠) بحث منشور في موقع www.talabanew.net

الموضع الثاني: قوله –تعالى-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [الآية: ٢].

المناسبة والمعنى الإجمالي للآية:

"لمَّا كان أعظم الدلائل عليه سبحانه آيات الآفاق﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلۡأَفَاقِ ﴾[١] وآيات الأنفس، وقدَّم الأول علويه وسفليه [٢]؛ لوضوحه، أتبعه الثاني دليلًا على عموم قدرته الدال على تمام ملكه بأنه المختص بالاختراع لأعجب الأشياء خلقًا والحمل على المكاره"[٣] فقال ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ ﴾ أي: الله الذي خلقكم أيها الناس ﴿ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ ﴾ يقول: فمنكم كافر بخالقه وأنه خلقه ﴿ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ ﴾ يقول: ومنكم مصدق به موقن أنه خالقه أو بارئه ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ يقول: والله الذي خلقكم بصير بأعمالكم عالم بها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم بها، فاتقوه أن تخالفوه في أمره أو نهيه، فيسطو بكم[٤].

(١) سورة فصلت الآية:[٥٣].

(٢) وذلك في قوله –تعالى-:﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [سورة التغابن الآية: ١].

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠٣/٢٠).

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن(٥/٢٣).

جملة التذييل: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

فائدة هذا التذييل، وصلته بالآية: قد أوضح ابن عاشور في عبارته فائدة هذا التذييل وصلته بالآية حيث قال: قَوْلُهُ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تَتْمِيمٌ(١)،وَاحْتِرَاسٌ(٢)،وَاسْتِطْرَادٌ(٣)، فَهُوَ تَتْمِيمٌ لِمَا يُكَمِّلُ الْمَقْصُودُ من تَقْسِيمِهِمْ إِلَى فَرِيقَيْنِ لِإِبْدَاءِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَلِكَ وَعَلِيمٌ بِأَنَّهُ يَقَعُ وَلَيْسَ اللَّهُ مَغْلُوبًا عَلَى وُقُوعِهِ وَلَكِنَّ حِكْمَتَهُ وَعِلْمَهُ اقْتَضَيَا ذَلِكَ، وهُوَ احْتِرَاسٌ مِنْ أَنْ يَتَوَهَّمَ

---

(١) التتميم: عبارة عن تقييد الكلام بفضلة لقصد المبالغة، أو للصيانة عن احتمال الخطأ، أو لتقويم الوزن. كالمبالغة في قوله: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الانسان:٨] أي مع حب الطعام أي اشتهائه فإن الإطعام حينئذ أبلغ وأكثر أجرًا، ومثله: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ﴾[طه:١١٢] فقوله: ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ تتميم في غاية الحسن. ينظر: الطراز لأسرار البلاغة (٥٧/٣) الاتقان في علوم القرآن (٢٥٢/٣).

(٢) الاحتراس: "هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه، وسمي بذلك؛ لأن فيه التوقي والاحتراز عن توهم خلاف المقصود .ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٢٠٨/٣).

كقوله تعالى: ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ﴾ [القصص:٣٢]، فاحترس سبحانه بقوله: ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ﴾ عن إمكان أن يدخل في ذلك البهق والبرص". ينظر: البرهان في علوم القرآن (٦٤،٦٥/٣).

(٣) الاستطراد: "هو أن يأخذ المتكلّم فى معنى، فبينا يمرّ فيه يأخذ في معنى آخر؛ وقد جعل الأول سببًا إليه؛ كقول الله -ﷻ-:﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ﴾[فصلت:٣٩] فبينا يدلّ الله سبحانه على نفسه بإنزال الغيث واهتزاز الأرض بعد خشوعها قال:﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ﴾ [فصلت:٣٩] فأخبر عن قدرته على إعادة الموتى بعد إفنائها وإحيائها بعد إرجائها، وقد جعل ما تقدّم من ذكر الغيث والنبات دليلًا عليه، ولم يكن في تقدير السامع لأوّل الكلام، إلا أنّه يريد الدلالة على نفسه بذكر المطر، دون الدّلالة على الإعادة، فاستوفى المعنيين جميعًا" ينظر: الصناعتين لأبي هلال العسكري (ص٣٩٨).

مِنْ تَقْسِيمِهِمْ إِلَى فَرِيقَيْنِ أَنَّ ذَلِكَ رِضَى بِالْحَالِينِ كَمَا حُكِيَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ﴾[١] وَهُوَ اسْتِطْرَادٌ بِطَرِيقِ الْكِنَايَةِ بِهِ عَنِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ[٢].

وفوق ذلك فإن لذلك التذييل السامي فائدة أخرى أطلعنا عليها الشيخ أبو زهرة؛ حيث قال في معرض حديثه عن فائدته:" ليعلم الناس عظيم مراقبته ﷻ لأحوالهم، واطلاعه على خفايا نفوسهم، فيراقبوه سبحانه في أفعالهم وأقوالهم، كما يراقبهم سبحانه، فتمتلئ قلوبهم عند العمل بعظمته، فيعملوا ما يعملون محسين بأنه مطلع على ما تخفي صدورهم، فتتجه القلوب - تحت تأثير هذه الرقابة المسيطرة العليمة التي لَا تغادر صغيرة ولا كبيرة - إليه سبحانه وحده، ولا تتجه إلى سواه"[٣].

من أسرار التذييل بجملة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

والتذييل هنا شمل عددًا من الأسرار منها ما يلي:

١- التعبير بالجملة الاسمية؛ لإفادة التأكيد والاستمرار[٤].

٢- "قدم الجار والمجرور ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ على ﴿بَصِيرٌ﴾ والأصل أن يقدم العامل على المعمول كما سبق الإشارة إليه[٥] فيقال:(بصير بما تعملون) وإنما قدم المعمول هنا لغرضين أحدها: الإشارة إلى مزيد الاعتناء كما تقول لمن سألك: هل تعرف كذا، وظهر منه التوقف في علمك له: نعم أعرفه ولا أعرف غيره"[٦] والثاني: الاهتمام بالعمل، وإنه مناظر الجزاء، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر[٧].

---

(١) سورة الزخرف الآية: [٢٠] .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير(٢٦٢/٢٨) بتصرف.

(٣) ينظر: زهرة التفاسير(٩٨٨/٢،٩٨٩).

(٤) من شأن الجملة الاسمية أن تدل على الثبوت والدوام، والتوكيد، ومن شأن الفعلية أن تدل على التجدد والحدوث. ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح (١٨٧/١).

(٥) ينظر: ص١٤٥٧ من هذا البحث.

(٦) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠٦/٢٠).

(٧) ينظر: زهرة التفاسير (٣٧٦٣/٧).

٣- التعبير بـ"ما" الدالة على العموم، فإنها بمعنى الذي، وهي تدل على العموم الشامل[١].

٤-التعبير عن العلم بالبصير؛ فمعناه علم كأنه مبصور بالبصر، يعلم الخفي الدقيق، والجلي الواضح، فلا يخفى عليه شيء من عمل الإنسان ويعلمه علم من يبصره[٢].

٥- وَجِيءَ هُنَا بِصِفَةِ «البصير» دُونَ: الخبير؛ لأن" لِكُفْرِ الْكَافِرِينَ وَإِيمَانِ الْمُؤْمِنِينَ آثَارًا ظَاهِرَةً مَحْسُوسَةً فَعُلِّقَتْ بِالْوُصْفِ الدَّالِّ عَلَى تَعَلُّقِ العلم الْإِلَهِيِّ بِالْمَحْسُوسَاتِ"[٣] وحيث كان السياق القرآني يتحدث عن أمور مشاهدة مرئية مبصرة يختم القرآن الكريم بقوله – تعالى-: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٤].

٦- مجيء (بصير) على (فعيل) للمبالغة.

الدروس المستفادة من جملة التذييل:

في جملة التذييل دلالة على "الزام المراقبة والتحفظ والتيقظ وبيان الترغيب والترهيب؛ لأنه إذا علم المرء أن عليه في كل ما يفعله رقيبًا يتيقظ، ولم يفعل إلا ما يُرضي به ربه"[٥].

(١) ينظر: زهرة التفاسير (٣٦٤/١).

(٢) ينظر: المرجع السابق(١٦٤/١،١٦٥).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢٧٤/٢٨).

(٤) ينظر: من روائع القرآن الكريم ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ بحث منشور في موقع islamiyyat.٣abber.com.

(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة(٣٢/١٠).

الموضع الثالث: قوله –تعالى-: ﴿ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الآية: ٤].

المناسبة والمعنى الإجمالي للآية:

"لمَّا تقرر بما مضى [١] إحاطة قدرة الله –تعالى- بما دلَّ على ذلك من إبداعه للخلق على هذا الوجه المحكم، وشهد البرهان القاطع بأن ذلك صنعه وحده لا فعل فيه لطبيعة ولا غيرها، دلَّ على أن ذلك بسبب شمول علمه؛ إشارة إلى أن من لم يكن تام العلم فهو ناقص القدرة فقال":[٢]﴿ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي ": يعلم ربكم أيها الناس ما في السموات السبع والأرض من شيء لا يخفى عليه من ذلك خافية﴿ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ ﴾ أيها الناس بينكم من قول وعمل﴿ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ ﴾ من ذلك فتظهرونه ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ يقول جل ثناؤه: والله ذو علم بضمائر صدور عباده، وما تنطوي عليه نفوسهم، الذي هو أخفى من السر، لا يعزب عنه شيء من ذلك، يقول تعالى ذكره لعباده: احذروا أن تسروا غير الذي تعلنون، أو تضمروا في أنفسكم غير ما تبدونه، فإن ربكم لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو محص جميعه، وحافظ عليكم كله"[٣].

---

(١) أي: في قوله –تعالى-:﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [سورة التغابن الآية: ٣] .

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠٩/٢٠).

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن(٧/٢٣).

جملة التذييل: قوله –تعالى-: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾

يقول ابن عاشـــور: "وجملة **﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾** تذييل لجملة **﴿ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ ﴾** ؛ لأنه يعلم ما يسره جميع الناس من المخاطبين وغيرهم"(١).

فائدة هذا التذييل، وصلته بالآية:

وجملة التذييل: "اعتراضٌ تذييليٌّ مقرِّرٌ لما قبلَهُ من شـــمولِ علمِهِ تعالَى لســـرِّهم وعلنِهم، أي: هو محيطٌ بجميـــعِ المضمـرات المستكنةِ في صـــدورِ الناسِ بحيثُ لا تفارقُهـــا أصلًا فكيف يخفى عليه ما يُسرونَهُ وما يُعلنونَهُ"(٢) **وهذا ما أوضحه الإمام الشـوكاني؛ حيث قال:** " **﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾** هذه الجملة مقررة لما قبلها من شـــمول علمه لكل معلوم، وهي تذييلية"(٣).

وبيَّنه كذلك قول القاســـمي، قال: "**﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾** أي بخفاياها، وما تنطوي عليه، وفيه تقرير لما قبله، كالدليل عليه؛ لأنه إذا علم الســـرائر، وخفيات الضمائر، لم يخف عليه خافية من جميع الكائنات"(٤).

من أسرار التذييل بجملة ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾:

١- أكد ﷻ علمه بخفايا النفوس، بثلاثة توكيدات:

المؤكد الأول: التعبير بالجملة الإســـمية(٥) "التي تدل على دوام العلم وثباته؛ لأنه علم أزلي دائم لَا يجري عليه ما يجري على الناس"(٦).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٦٧/٢٨).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم(٢٥٦/٨).

(٣) ينظر: فتح القدير (٢٨١/٥).

(٤) ينظر: محاسن التأويل(٢٤٣/٩).

(٥) ينظر: زهرة التفاسير (١٤٦٥/٣).

(٦) ينظر: المرجع السابق (١٩١/١).

والثاني: "التعبير بوصف﴿عَلِيمُۢ﴾، فهو يعلم صغائر الأمور وجليلها، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض"(١)، "وفي ﴿عَلِيمُۢ﴾ من المبالغة ما ليس في عالم، وليس ذلك راجعًا إلى نفس الصفة ؛لأن علمه –تعالى- واحد لا تكثّر فيه لكن لما تعلَّق بالكلي والجزئي، والموجود، والمعدوم، والمتناهي، وغير المتناهي، وصف نفسه سبحانه بما دلَّ على المبالغة"(٢).

وفي ذلك يقول ابن عاشور: "واختيار مثال المبالغة وهو ﴿عَلِيمُۢ﴾ لاستقصاء التعبير عن إحاطة العلم بكل ما تسعه اللغة الموضوعة لمتعارف الناس فتقصر عن ألفاظ تعبر عن الحقائق العالية بغير طريقة استيعاب ما يصلح من المعبرات لتحصيل تقريب المعنى المقصود"(٣).

والثالث: التعبير ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فهذا من قبيل ما يشبه التأكيد المعنوي، فمعناه يعلم الصدور ذاتها، فلا يقتصر علمه على ما في الوعاء، بل يعلم الوعاء ذاته"(٤).

٢- إظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار، فكان الظاهر في جملة التذييل ألا يذكر اسم الجلالة وأن يعبر عنه بالضمير لسبق ذكره، ولكنه أعيد هنا للتعظيم(٥).

والإشعارِ بعلةِ الحكمِ وتأكيد استقلالِ الجملةِ(٦).

٣- عبر بـ (ذات الصدور) دون (ذات القلوب)؛ لأنها أعم(٧) لصدق الأولى على الأسرار التي في القلوب، وعلى القلوب نفسها.

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير (١٤٦٥/٣).

(٢) ينظر: روح المعاني (٢١٩/١).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٢٤/١١).

(٤) ينظر: زهرة التفاسير (١٤٦٥/٣).

(٥) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١٠/٢٠).

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢٥٦/٨).

(٧) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٩٣٩/٣).

٤- "تكرير العلم في معنى تكرير الوعيد"(١).

٥- وتقديم تقرير القدرة على تقريره؛ لأن دلالة المخلوقات على قدرته بالذات، وكمال قدرته يستلزم كمال علمه؛ لأن من لا يكمل علمه لا تتم قدرته، فلا يأتي مصنوعه محكمًا(٢).

٦-عطف الخاص على العام في قوله: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ ثم عطف ما هو أخص من الخاص وهو حديث النفس الذي لا يعبر عنه الإنسان بكلام أو إشارة أو بيان ما(٣).

الدروس المستفادة من جملة التذييل: في جملة التذييل دلالة على أن الله -ﷻ- ذو علم بضمائر صدور العباد وما تنطوي عليه نفوسهم(٤) "فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه"(٥).

قال الراغب الأصفهاني: "﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾أي: عالم بجميع ما ينطوي عليه من الضمائر الطيبة والخبيثة"(٦).

وقال الشيخ/ عبدالكريم يونس الخطيب: "وفى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾بيان لسعة علم الله، ونفوذه إلى كل خفىّ فعلمه - سبحانه- لا يقف عند ظواهر الأشياء، ولكنه ينفذ إلى كل ذرة من ذراتها، وإلى كل دقيقة من دقائقها"(٧).

(١) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل(٤٩١/٣).
(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(١١١/٢٠).
(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي(٢٣٧/٢٨).
(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٧٥٠٠/١٢).
(٥) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٥٤٧/٤).
(٦) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٩٣٩/٣).
(٧) ينظر: التفسير القرآني للقرآن(٦٢١/٢).

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾ [الآية: ٦].

المناسبة والمعنى الإجمالي للآية:

بعد أن ذكر تعالى في قوله ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[١] ما حلَّ بالأمم الماضين من العذاب والنكال في مخالفة الرسل والتكذيب بالحق علَّل ذلك فقال[٢]: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ..... ﴾ أي: هذا الذي نال الذين كفروا من قبل هؤلاء المشركين من وبال كفرهم، والذي أعدَّ لهم ربهم يوم القيامة من العذاب، من أجل أنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات، فقالوا لهم: ﴿ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا ﴾؟ استكبارًا منهم أن تكون رسل الله إليهم بشرًا مثلهم، واستكبارًا عن اتِّباع الحقِّ من أجل أنَّ بشرًا مثلهم دعاهم إليه وقوله: ﴿فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ﴾ يقول: فكفروا بالله وجحدوا رسالة رسله الذين بعثهم الله إليهم استكبارًا ﴿ وَتَوَلَّواْ ﴾ يقول: وأدبروا عن الحق فلم يقبلوه، وأعرضوا عمَّا دعاهم إليه رسلهم ﴿ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ ﴾ يقول: واستغنى الله عنهم، وعن إيمانهم به وبرسله ﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾ يقول: والله غني عن جميع خلقه، محمود عند جميعهم[٣] "إذ ما بهم من نعمة فمنه وبفضله"[٤].

(١) سورة التغابن الآية: [٥].

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (١٣٦/٨).

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٨/٢٣) بتصرف.

(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٧٥٠٣/١٢).

جملة التذييل: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

قال ابن عاشور: "وجملة ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ تذييل، أي: غني عن كل شيء فيما طلب منهم، حميد لمن امتثل وشكر"(١).

فائدة هذا التذييل، وصلته بالآية:

"وقوله ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ في محل التعليل لمضمون الآية، والمعنى: والله غني في ذاته محمود فيما فعل، فما فعل بهم من إذاقتهم وبال أمرهم وتعذيبهم بعذاب أليم على كفرهم وتوليهم من غناه وعدله ؛لأنه مقتضى عملهم المردود إليهم"(٢).

من أسرار التذييل بجملة ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

شمل التذييل هنا عددًا من الأسرار منها ما يلي:

١- التعبير بالجملة الإسمية لإفادة الثبوت والدوام.

٢- وضع الظاهر موضع المضمر، والأصل "وهو غني حميد"، ولكنه أعيد هنا لتربية "المهابة وخشيته سبحانه في النفوس"(٣).

٣- مجيء ﴿حَمِيد﴾ على وزن فعيل للمبالغة، قال ابن عاشور: "والحميد من أمثلة المبالغة، أي شديد الحمد؛ لأنه يثني على فاعلي الخيرات"(٤).

٤- "واتِّباع صفة "الغني" بـــ"الحميد " تكميل، فهو احتراس؛ لدفع توهمهم أنه لمَّا كان غنيًا عن استجابتهم وعبادتهم فهم معذورون في أن لا يعبدوه، فنبَّه على أنه موصوف بالحمد لمن عبده واستجاب لدعوته"(٥).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير(٢٨/٢٧٠).

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن (١٩/٣١٢).

(٣) ينظر: زهرة التفاسير (٢/١٠٠٥).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٣/٨٥).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير (٢٢/٢٨٦).

الدروس المستفادة من جملة التذييل:

في جملة التذييل دلالة على أن الله -ﷻ- "غير محتاج إلى العالم ولا إلى عبادتهم له، محمود من كل مخلوقاته بلسان المقال والحال"(١) و"هو الحقيق بالحمد على ما أنعم به على عباده من النعم المتظاهرة عليهم، ظاهرة وباطنة"(٢).

الموضع الخامس: قوله –تعالى-: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [الآية: ٧].

المناسبة والمعنى الإجمالي للآية:

"أخبر الله – تعالى- عن الكفار والمشركين والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون"(٣)، "بعد تكذيبهم للرسالة"(٤)، (٥)، فقال: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ ﴾ "زعم الذين كفروا بالله أن لن يبعثهم الله إليه من قبورهم بعد مماتهم، وقوله: ﴿ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد: بلى وربي لتبعثن من قبوركم(٦) ﴿ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ ﴾ يقول: ثم لتخبرن بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ يقول: وبعثكم من قبوركم بعد مماتكم على الله سهل هيّن"(٧).

---

(١) ينظر: فتح القدير (٥/٢٨١).

(٢) ينظر: تفسير المراغي(٢٨/١٢٢).

(٣) ينظر: التفسير المنير(٢٨/٤٢١).

(٤) كما أوضحه قوله- تعالى -:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾ [سورة التغابن الآية:٦].

(٥) ينظر: صفوة التفاسير (٣/٣٧٠).

(٦) وجيء في نفى زعمهم بالجملة القسمية؛ لتأكيد أمر البعث الذي نفوه بحرف (لَنْ)، ولبيان أن البعث وما يترتب عليه من ثواب وعقاب، أمر ثابت ثبوتًا قطعيًا. ينظر: التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي (١٤/٤٢٧).

(٧) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٣/٨،٩).

جملة التذييل: قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾

قال ابن عاشور: " ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ تذييل"(١)

فائدة هذا التذييل، وصلته بالآية:

قال الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي: هذا التذييل المقصود به إزالة ما توهموه وزعموه من أن البعث أمر محال، كما قالوا: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۚ﴾(٢)، أي: وذلك البعث والحساب، يسير وهيّن على الله- تعالى؛ لأنه- سبحانه- لا يعجزه شيء، ولا يحول دون تنفيذ قدرته حائل(٣).

أسرار التذييل في الآية الكريمة:

وقد حوى هذا التذييل كثيرًا من الأسرار التي نلمح منها ما يلي:

١- التعبير بالجملة الإسمية لإفادة الثبوت والاستمرار

٢- "تَقْدِيمُ الْمَجْرُورِ عَلَى مُتَعَلِّقِهِ وَهُوَ ﴿يَسِيرٌ﴾ لِلِاهْتِمَامِ بِذِكْرِهِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى إِمْكَانِهِ فِي جَانِبِ عِلْمِ الله تَعَالَى"(٤).

٣- "أخبر عنه بـ﴿يَسِيرٌ﴾ دون أن يقال: (واقع) كما قال: ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾(٥)؛ لأن الكلام لرد إحالتهم البعث بعلة أن أجزاء الجسد تفرقت فيتعذر جمعها فذكروا بأن

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٧٢/٢٨).

(٢) سورة السجدة الآية: [١٠].

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي (٤٢٧/١٤) بتصرف.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٣٣٢/١٧).

(٥) سورة الذاريات الآية: [٦].

العسير في متعارف الناس لا يعسر على الله، وقد قال في الآية الأخرى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[1]"[2].

الدروس المستفادة من جملة التذييل:

في جملة التذييل دلالة على تقرير البعث والجزاء؛ إذ الإعادة أيسر من الابتداء.

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الآية: ٨].

المناسبة والمعنى الإجمالي للآية:

لَمَّا ذكر –تعالى- إنكار من أنكر البعث، وأن ذلك منهم موجب كفرهم بالله وآياته[3]، أمر بما يعصم من الهلكة والشقاء، وهو الإيمان بالله ورسوله وكتابه فقال[4]: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ أي: "فصدِّقوا بالله ورسوله أيها المشركون المكذبون بالبعث، وبإخباره إياكم أنكم مبعوثون من بعد مماتكم، وأنكم من بعد بلائكم تنشرون من قبوركم، ﴿ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ ﴾ يقول: وآمنوا بالنور الذي أنزلنا، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ[5]،[6] ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: والله

---

(١) سورة الروم الآية: [٢٧].

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٧٢/٢٨).

(٣) وذلك في قوله –تعالى-:﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[سورة التغابن الآية:٧].

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص ٨٦٧).

(٥) "قال: فآمنوا بالله ورسوله بطريق الإضافة، ولم يقل: ونوره الذي أنزلنا بطريق الإضافة مع أن النور هاهنا هو القرآن والقرآن كلامه ومضاف إليه؟ نقول: الألف واللام في النور بمعنى الإضافة كأنه قال: ورسوله ونوره الذي أنزلنا". ينظر: مفاتيح الغيب(٥٥٤/٣٠).

(٦) وسماه الله نورًا، فإن النور ضد الظلمة، وما في الكتاب الذي أنزله الله من الأحكام والشرائع والأخبار، أنوار يهتدى بها في ظلمات الجهل المدلهمة، ويمشى بها في حِنْدِس-ظلام- الليل البهيم، وما سوى الاهتداء بكتاب الله، فهي =

بأعمالكم أيها الناس ذو خبرة محيط بها، محصٍ جميعها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم على جميعها"[١].

جملة التذييل: قوله- تعالى-: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ .

فائدة هذا التذييل، وصلته بالآية:

قوله تعالى: **وَٱللَّهُ ﴿ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾** "اعتراضٌ تذييليٌّ مقرر لما قبله من الأمرِ موجبٌ للامتثالِ به بالوعدِ والوعيدِ"[٢].

قال ابن عاشور: "وَجُمْلَةُ **﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾** تَذْيِيلٌ لِجُمْلَةِ **﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾** يَقْتَضِي وَعْدًا إِنْ آمَنُوا، وَوَعِيدًا إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا"[٣].

وقال الدكتور/ محمد سيد طنطاوي: "وجملة **﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾** تذييل قصد به الوعد والوعيد، أي: والله- تعالى- مطلع اطِّلاعًا تامًا على كل تصرفاتكم، وسيمنحكم الخير إن آمنتم، وسيلقى بكم في النار إن بقيتم على كفركم"[٤].

من أسرار التذييل بجملة ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾:

وقد شمل هذا التذييل عددًا من الأسرار منها ما يلي:

١- التعبير بالجملة الإسمية للدلالة على الدوام والاستمرار.

= علوم ضررها أكثر من نفعها، وشرها أكثر من خيرها، بل لا خير فيها ولا نفع، إلا ما وافق ما جاءت به الرسل. ينظر: تفسير السعدي (ص ٨٦٧).

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن(٩/٢٣).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم(٢٥٨/٨).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢٧٣/٢٨).

(٤) ينظر: التفسير الوسيط (٤٢٨/١٤).

٢- أَظْهر اسْـم الْجَلَالَة فِي مَقَام الْإِضْـمَارِ؛" لِتَكُونَ الْجُمْلَةُ مُسْـتَقِلَّة جَارِيَة مَجْرَى الْمَثَلِ وَالْكَلِمِ الْجَوَامِعِ، وَفِيـهِ مِنْ تَرْبِيَـةِ الْمَهَـابَـةِ مَـا فِي قَوْلِ الْخَلِيفَـةِ «أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَـأْمُرُكُمْ بِكَذَا"[١].

٣- ذكر الاسم الموصول – ما- للتشويق[٢].

٤- وقوله (تعملون) صلة الموصول جاءت لتزيل ابهام الموصول، وتوضح معناه.

٥- "وقدم الجار ومدخوله وإن كان علمه سبحانه بالأشياء كلها على حد سواء تنبيهًا على مزيد الاعتناء بالأعمال، لا سيما الباطنة من الإيمان والعلم اللذين هما الروح الأعظم"[٣]، ولإفادة الحصر الدال على التحذير كأن يقال: لو لم يكن خبيرًا بشيء؛ لكان خبيرًا بأعمالكم، فاحذروا المخالفة .

٦- ومجيء (خبير) على (فعيل) للمبالغة، أي: لا يخفى عليه شيء من دقائق عملكم.

قال أبو حيان: "و(خبير) للمبالغة، وهو العلم بما لطف"[٤].

٧- وَجِيءَ هُنَا بِصِفَةِ «الْخَبِيرُ» دُونَ: الْبَصِيرُ؛ لِأَنَّ مَا يعملونه مِنْهُ مَحْسُوسَات وَمِنْهُ غَيْرُ مَحْسُوسَات كَالْمُعْتَقَدَاتِ، وَمِنْهَا الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ، فَعُلِّقَ بِالْوَصْفِ الدَّالِّ عَلَى تَعَلُّقِ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ بِالْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا، بِخِلَافِ قَوْلِهِ فِيمَا تَقَدَّمَ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٥] فَإِنَّ لِكُفْرِ الْكَافِرِينَ وَإِيمَانِ الْمُؤْمِنِينَ آثَارًا ظَاهِرَةً مَحْسُوسَةً فَعُلِّقَتْ بِالْوَصْفِ الدَّالِّ عَلَى تَعَلُّقِ العِلم الْإِلَهِي بِالْمَحْسُوسَات[٦].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير(٢٧٣/٢٨).

(٢) الاسم الموصول هو: اسم مبهم يحتاج -دائمًا- إلى جملة تزيل ابهامه وتوضح المراد منه، فالنفس تذهب فيه مذاهب وتترقب ما يأتي بعده؛ ليعرف المقصد منه .ينظر: النحو الوافي(٣٤١/١).

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١٧/٣٧٧،٢٠/١٩).

(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٥٥٠/٢).

(٥) سورة التغابن الآية: [٢].

(٦) ينظر: التحرير والتنوير(٢٧٣/٢٨، ٢٧٤).

٨- تقديم العمل على صفة (الخبير)؛ حيث تقدم ذكر العمل في قوله ﴿ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾[١]، فعندما يكون السياق في عمل الإنسان يقدم العمل، بخلاف ما لو كان السياق في أمور قلبية كقوله- تعالى-: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢]، أو في صفات الله ﷻ كقوله ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[٣] فحينئذٍ يقدم صفة (الخبير)[٤].

الدروس المستفادة من جملة التذييل:

١- في جملة التذييل "بيان أن الله –تعالى- عالم بما يعمله العباد في الأزل، وبما يكون منهم"[٥].

٢- في جملة التذييل كذلك تهديد لمن لم يمتثل بالأمر، وتحذير له من المخالفة؛ لأن هذا يوجب ألا نخالف الله –تعالى- ما دمنا نعلم أنه خبير بما نعمل فإنه لا يمكن أن نخالف الله ﷻ، مثلما قال رجل لآخر: اذهب وأنا أعلم بما تفعل، فالمراد التهديد والتحذير من المخالفة.

---

(١) سورة التغابن الآية: [٧].

(٢) سورة النور الآية: [٥٣].

(٣) سورة النمل الآية: [٥٨].

(٤) ينظر: وقفة بلاغية في تقديم وتأخير (خبير) في كتاب الله عزو جل بحث منشور على sunnti.com.

(٥) تأويلات أهل السنة (٣٦/١٠).

الموضع السابع: قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية: ٩].

المناسبة والمعنى الإجمالي للآية:

لمَّا أخبر الله –تعالى- بالبعث وأقسم عليه، وأشار إلى دليله السابق [١]، وسبَّب عنه ما يُنَجِّي في يومه[٢]، ذكر يومه وما يكون فيه؛ ليُحذَر[٣] فقال- تعالى-: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ﴾أي: تذكروا يوم يجمع الله الأولين والآخرين للحساب والجزاء في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، لتجزى كل نفس بما كسبت ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ فالكافرون قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم ولم يربحوا فيها، والمؤمنون باعوا أنفسهم بالجنة فربحت صفقتهم وما كانوا خاسرين ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ أي: ومن يصدق بالله ويعمل بطاعته وينته إلى أمره ونهيه يمح عنه ذنوبه ويدخله جنات تجرى من تحت أشجارها الأنهار لابثين فيها

---

(١) وذلك في قوله –تعالى-:﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة التغابن الآية:٧].

(٢) وذلك في قوله –تعالى-:﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة التغابن الآية:٨].

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١٨/٢٠).

أبدًا لا يموتون ولا يخرجون منها، وذلك هو الفوز الذي لا فوز بعده؛ لانطوائه على النجاة من أعظم المهالك، وأجلّ المخاطر[١].

جملة التذييل: قوله- تعالى-:﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

فائدة هذا التذييل، وصلته بالآية:

لمَّا وصف الحق ﷻ في أول الآية يوم القيامة بأنه يوم التغابن؛ لأنه اليوم الذي يرى الناس فيه أنهم غبنوا من جهة أنفسهم، وأنَّ غبنًا أصابهم في حياتهم الدنيا، فلم يأخذوا حقهم كاملًا فيها، ولم يستوفوا المطلوب منهم للحياة الآخرة[٢]، ولمَّا كان كل أحد يَحْسَب أن يكون في النور، ويكره أن يكون في الظلام، ويحب أن يكون غابنًا، ويكره أن يكون مغبونًا، أرشدت سوابق الكلام ولواحقه إلى أن التقدير: فمن آمن كان في النور، وكان في ذلك اليوم برجحان ميزانه من الغابنين، ومن كفر كان في الظلام، وكان في ذلك اليوم بنقصان ميزانه من المغبونين، فعطف عليه قوله بيانًا لآثار ذلك الغبن، وتفضيلًا له بإصلاح الحامل على التقوى، وهو أمور منها القوة العلمية: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ﴾ أي: يوقع الإيمان ويجدده على سبيل الاستمرار ﴿بِٱللَّهِ﴾ أي: الملك الأعظم الذي لا كفؤ له، ولمَّا ذكر الرأس وهو إصلاح القوة العلمية، أتبعه البدن وهو إصلاح القوة العملية فقال ﴿وَيَعۡمَلۡ﴾ تصديقًا لإيمانه ﴿صَٰلِحٗا﴾ أي: عملًا هو مما ينبغي الاهتمام بتحصيله؛ لأنه لا مثل له في جلب المنافع ودفع المضار، ولمَّا كان الدين مع سهولته متينًا لن يشاده أحد إلا غلبه، قال حاملًا على التقوى بالوعد بدفع المضار ﴿يُكَفِّرۡ﴾ أي: الله-ﷻ- بأن يستر سترًا عظيمًا ﴿عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ التي غلبه عليها نقصان الطبع، وأتبع ذلك الحامل الآخر وهو الترجئة بجلب المسار؛ لأن الإنسان يطير إلى ربه سبحانه بجناحي الخوف والرجاء والرهبة والرغبة والنذارة والبشارة فقال: ﴿وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ ولمَّا

(١) ينظر: تفسير المراغي (١٢٤/٢٨، ١٢٥).

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (٩٨٢/١٤) بمعناه.

كان النزوح أو توقعه عن مثل هذا محزنًا، أزال توقع ذلك بقوله جامعًا لئلا يظن الخلود لواحد بعينه تصريحًا بأن من معناها الجمع وأن كل من تناولته مستوون في الخلود ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ وأكدَّ بقوله: ﴿أَبَدًا﴾ ولمَّا كان هذا أمرًا باهرًا جالبًا بنعيمه سرور القلب، أشار إلى عظمته بما يجلب سرور القلب بقوله ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: الأمر العالي جدًا من الغفران والإكرام، لا غيره هو الفوز العظيم ؛لأنه جامع لجميع المصالح مع دفع المضار وجلب المسار[١].

من أسرار التذييل بجملة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾

وقد شمل هذا التذييل عددًا من الأسرار منها ما يلي:

١- جيء بالمسند إليه اسم إشارة، وإنما يؤتى بالمسند إليه كذلك لأغراض كثيرة منها: قصد تحقيره بالقرب، نحو: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾[٢] ومنها: قصد تعظيمه بالقرب، نحو:﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[٣] وذلك كثير في التنزيل، ومنها: قصد تحقيره بالبعد نحو:﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾[٤] ومنها: قصد تعظيمه بالبعد نحو:﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾[٥] حيث لم تقل: فهذا، وهو حاضر رفعًا لمنزلته في الحسن وتمهيدًا لعذر الافتتان به[٦]، ونحوه الآية هنا حيث لم يقل (هذا) مع قرب المشار إليه في الذكر، وذلك للإيذان بكمال علوّ درجتِه[٧].

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١٨/٢٠).

(٢) سورة الأنبياء الآية: [٣٦].

(٣) سورة الإسراء الآية: [٩].

(٤) سورة الماعون الآية: [٢].

(٥) سورة يوسف الآية: [٣٢].

(٦) ينظر: علوم البلاغة البيان،المعاني، البديع، لأحمد بن مصطفى المراغي (١١٥،١١٦) ولمعرفة المزيد عن أغراض مجيء المسند إليه اسم إشارة ينظر المرجع نفسه.

(٧) ينظر: إرشاد العقل السليم (١٥٤/٢).

٢- أفاد تعريف جزأي الجملة قصر المسند على المسند إليه أي: قصر الفوز على ما تقدم من تكفير السيئات وإدخال الجنات، أي: فلا فوز غيره، فما يحسبه في الدنيا من أسباب الفوز إنما هو باطل لَا يجوز.

٣- وصف الفوز بـــ (عظيم) دون (كبير) كما في سورة البروج في قوله- تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾[١] والعظيم أعلى حالًا من الكبير ؛ لأن ما فيها قد رتب على إدخال الجنات فقط، وما هنا قد رتب على الأمرين المذكورين-تكفير السيئات، وإدخال الجنات-، فهو جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع[٢].

الدروس المستفادة من جملة التذييل:

أن الفوز الحقيقي ليس بربح الدينار والدرهم والجاه والرئاسة، وإنما الربح العظيم أو الفوز العظيم هو فوز الإنسان بجنات النعيم نسأل الله –تعالى- أن يجعلنا من الفائزين بها.

(١) سورة البروج الآية [١١].

(٢) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (١٦٩/١٤).

الموضـــع الثامن: قوله –تعالى-: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الآية: ١٠].

المناسبة والمعنى الإجمالي للآية:

"بعد أن بيَّن جزاءَ المؤمنين الصـــالحين[١]، أتبعه بمآل الكافرين المكذبين؛ ليكون الناس على بصـــيرة من أمرهم؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، وحتى لا تكون لهم على الله حُجة"[٢] أي: والذين جحدوا وحدانية الله وكذَّبوا بأدلته،وآي كتابه الذي أنزله على عبده محمد ﷺ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ أبدًا، وبئس النار مصيرًا لهم[٣].

جملة التذييل: قوله –تعالى-: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ .

فائدة هذا التذييل، وصلته بالآية:

قوله - تعالى-: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ اعْتِرَاضٌ تَذْيِيلِيٌّ لِزِيَادَةِ تهويل الْوَعيد[٤].

من أسرار التذييل بجملة ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ :

حذف المخصـــوص بالذم ؛ لدلالة ما قبله عليه، والتقدير: بئس المصـــير النار، أو: عذابها"[٥]،وسبب استعمال الحذف في هذا الموضع هو الإعظام والتفخيم لهذا الوعيد لتذهب النفس في تصوره كل مذهب.

---

(١) وذلك في قوله –تعالى-:﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة التغابن الآية:٩].

(٢) ينظر: التفسير الوسيط- مجمع البحوث (١٤٤٩/١٠).

(٣) ينظر: تفسير المراغي (١٢٥/٢٨).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٢٧٧/٢٨).

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم (١٥٩/١).

فإن قيل: مَا الْحِكْمَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ وَذَلِكَ بِئْسَ الْمَصِيرُ فَنَقُولُ: ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ فِي مَعْنَاهُ فَلَا يَدُلُّ عَلَيْهِ بِطَرِيقِ التَّصْرِيحِ فالتصريح مما يؤكده(١).

الدروس المستفادة من جملة التذييل:

في جملة التذييل دلالة على سوء مصير الذين كفروا في الآخرة.

الموضع التاسع: قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية: ١١].

المناسبة والمعنى الإجمالي للآية:

"بعد بيان كون الناس قسمين: مؤمن وكافر، ثم الأمر بالإيمان والعمل الصالح، والنهي عن الكفر والتنفير فيه، أبان الله –تعالى- أن كل ما يصيب الإنسان من خير أو شر، فهو بقضاء الله وقدره على وفق السنن الكونية المدبرة والمرتبة بإرادة الله"(٢) والمعنى: لم يصب أحدًا من الخلق إلا بقضاء الله وتقديره ذلك عليه ومن يُصَدِّقْ بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهد قلبه، أي: يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه والله بكل شيء ذو علم بما كان ويكون وما هو كائن من قبل أن يكون(٣)،(٤).

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٥٥٥/٣٠).

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٢٤٨/٢٨).

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١١/١٣-١٣)بتصرف

(٤) كُرر لفظ الجلالة في الآية الكريمة ثلاث مرات ؛لإدخال الروعةِ وتربيةِ المهابةِ وللتنبيه على استقلالِ كلَ منها بمعنى على حياله حتى إذا سمع السامع كل واحدة منها حصل له علم مستقل، وقد لا يسمع إحداها فلا يضره ذلك في فهم أخراها، ونظير هذا الإظهار قول الحَمَاسيّ:

اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبْرٍ وَوَالِدِهِ... وَاللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبْرٍ وَمَا وَلَدَا

وَاللُّؤْمُ دَاءٌ لِوَبْرٍ يُقْتَلُونَ بِهِ... لَا يُقْتَلُونَ بِدَاءٍ غَيْرِهِ أَبَدًا

فإنَّه لمَّا قصد التشنيع بالقبيلة ومن وَلَدَها، وما ولدته، أظهر اللؤم في الجمل الثلاث ولمَّا كانت الجملة الرابعة كالتأكيد للثالثة لم يظهر اسم اللؤم بها . ينظر: التحرير والتنوير (١١٨/٣).

جملة التذييل: قوله –تعالى-:﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ .

فائدة هذا التذييل، وصلته بالآية:

وجملة التذييل مقررة لما تضمنته الآية الكريمة ومؤكدة له، **يقول ابن عاشور:** "هذا الخبر في قوله:﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ ﴾ إيماء إلى الأمر بالثبات والصبر عند حلول المصائب؛ لأنه يلزم من هدي الله قلب المؤمن عند المصيبة ترغيب المؤمنين في الثبات والتصبر عند حلول المصائب فلذلك ذيل بجملة ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ فهو تذييل للجملة التي قبلها وارد على مراعاة جميع ما تضمنته من أن المصائب بإذن الله، ومن أن الله يهدي قلوب المؤمنين للثبات عند حلول المصائب ومن الأمر بالثبات والصبر عند المصائب، أي: يعلم جميع ذلك"[(١)].

من أسرار التذييل بجملة ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ .

وقد شمل هذا التذييل عددًا من الأسرار منها ما يلي:

أكد ﷻ علمه السرمدي بثلاثة توكيدات:

المؤكد الأول: التعبير بالجملة الاسمية التي تدل على دوام العلم وثباته؛ لأنه علم أزلي دائم لَا يجري عليه ما يجري على الناس.

والثاني: بذكر الإحاطة التامة بكل شيء، أي: "والله عليم بكل شيء لا ببعض الأشياء كما يزعمه بعض جهلة الفلاسفة"[(٢)] **قال البقاعي**: "قدم الجار؛ لأن المقام للإبلاغ في إحاطة العلم"[(٣)] وفائدة ذكر عموم العلم: التحذير من المخالفة ؛ لأن من علم بك ممتثلًا أو مخالفًا فسوف يجازيك على ذلك، فإذا كان الأمر هكذا ففي كل آية فيها

(١) ينظر: التحرير والتنوير(٢٨/٢٣٠).

(٢) ينظر: روح المعاني (٩/٤١٩).

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(١٩/٣٦٦).

إثبات العلم تحذير من مخالفة الله ﷻ ؛لئلا يقع الإنسان فيما يُسخط الله ﷻ عليه[١] وزاد الألوسي أن من أغراض تقديم الجار كذلك رعاية رؤوس الآي[٢].

والثالث: بذكر صفة من صفاته فقال –تعالى-: (عَلِيمٌ)[٣]، وإنما جاءت صفة (عليم) على(فعيل) للمبالغة.

قال العلامة الألوسي:" في (عَلِيمٌ) من المبالغة ما ليس في عالم وليس ذلك راجعًا إلى نفس الصفة؛ لأن علمه تعالى واحد لا تكثّر فيه لكن لما تعلق بالكلي والجزئي والموجود والمعدوم والمتناهي وغير المتناهي وصف نفسه سبحانه بما دل على المبالغة - والشيء- هنا عام باق على عمومه لا تخصيص فيه بوجه خلافًا لمن ضل عن سواء السبيل[٤].

- إظهارُ الاسمِ الجليل في مقام الإضمار؛ لتأكيد استقلالِ الجملة، والإشعار بعلَّةِ الحكم[٥].

الدروس المستفادة من جملة التذييل:

١- في جملة التذييل دلاله على إحاطة علمه –تعالى- بكل شيء وأن ما ينزل بهم من مصائب جار على حكمة لا يطلع عليها الناس، وأن الله-تعالى- يعلم صبر الصابرين وجزع الجازعين.

٢- وفيها تعريض بالوعد لمن يمتثل الأمر ويثبت ويصبر عند حلول المصائب ووعيد لمن لم يخالف ذلك.

٣- وفيها "دعوة إلى إخلاص النيَّات في الاتجاه إلى الله، والإيمان به، فإن لهذه النيَّات السليمة المخلصة وزنها، وقدرها، وإن لم تبلغ بصاحبها ما يريد، أما من يتجه إلى الله اتجاهًا فاترًا ملتويًا، يقدّم رِجلًا، ويؤخر أخرى، فإن النية القائمة وراء هذا الاتجاه لا

(١) ينظر: التفسير المحرر (٣٣٦/٣٨).
(٢) ينظر: روح المعاني (٤١٩/٩).
(٣) ينظر: زهرة التفاسير (١٩٢،١٩١/١).
(٤) ينظر: روح المعاني (٢١٩/١).
(٥) ينظر: المرجع السابق (٣٦٦/٩).

تحســـب لـه إذا هو أخفق، ولم يبلغ موقع الإيمـان، ولم يملأ بـه قلبـه، ولم تتشــربـه مشاعره!" [١].

٤- في جملة التذييل دلالة على أن أسماء الله تَعَالَى دالة على معانٍ هي صفاته فالله تعالى يعلق بأسمائه المعمولات من الظروف وَالْجَار وَالْمَجْرُور وَغَيرهمَا، وَلَو كَانَت أعلامًا مَحْضَة لم يَصح فِيهَا ذَلِك! [٢].

الموضع العاشر: قوله –تعالى-: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [الآية: ١٣].

المعنى الإجمالي للآية:

يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: مَعْبُودُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَعْبُودٌ وَاحِدٌ لَا تَصْـلُحُ الْعِبَادَةُ لِغَيْرِهِ، وَلَا مَعْبُودَ لَكُمْ سِوَاهُ،عَلَى اللَّهِ أَيُّهَا النَّاسُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُصَدِّقُونَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ[٣].

جملة التذييل: قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ .

فائدة هذا التذييل، وصلته بالآية:

وجملة التذييل تقرير لما سبق من وجوب المداومة على طاعة الله وشكره على نعمه.

من أسرار التذييل بجملة ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾.

قد اشــتمل التذييل على جملة من البلاغيات التي تبرز حســن النظم وتزيده جمالًا؛ منها:

١- لفظ (عَلَى) فإنه يشير إلى علو من يعتمد على الله وسموه، وعدم ذلته لمخلوق[٤].

٢- تقديمُ الجار والمجرور على الفعل، ولتقديمه أغراض أوضحها المفسـرون على النحو الآتي:

---

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (١٤/٩٨٥،٩٨٦).

(٢) ينظر: جلاء الأفهام (ص١٧٦).

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٣/١٣).

(٤) ينظر: زهرة التفاسير (٤/٢٠٦٨).

- إفادة قصر التوكل عليه تعالى[١] "أي: على الله توكلوا لا على غيره؛ لأنه قد علم أنه هو الناصر وحده، فالاعتماد عليه توحيد محصل للمقصود، والاعتماد على غيره شرك غير نافع لصاحبه، بل ضار"[٢]، "وَهَذَا كَالتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ حَالَ الْمُنَافِقِينَ بِالضِّدِّ مِنْ ذَلِكَ وَأَنَّهُمْ لَا يَتَوَكَّلُونَ إِلَّا عَلَى الْأَسْبَابِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَاللَّذَّاتِ الْعَاجِلَةِ الْفَانِيَةِ"[٣].
- للاهتمام بمدلول هذا المتعلق[٤] **وفي ذلك يقول أبو حيان:** " وَقَدَّمَ الْمَجْرُورَ لِلِاعْتِنَاءِ بِمَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ"[٥].
- لإفادة الاختصاص، أي أن المؤمنين لا يتوكلون إلا على الله، **وهذا ما قررته عبارة النسفي؛ حيث قال:** ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض إليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه، ولأن إيمانهم يقتضي ذلك"[٦].

وقال السمين الحلبي أيضًا:" وقوله: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ إنَّما قَدَّم الجارَّ ليؤذن بالاختصاص أي: ليخُصَّ المؤمنون ربَّهم بالتوكُّل عليه والتفويضِ لعلمهم أنه لا ناصرَ لهم سواه، وهو معنىً حسن"[٧].

وقال أبو السعود: "﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ أي عليهِ تعالى خاصَّة دُونَ غيرِه لا استقلالًا ولا اشتراكًا"[٨].

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (١٠٦/٢).
(٢) ينظر: تفسير السعدي (١٥٥/١).
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٦٧/١٦).
(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٣٦/٢٨).
(٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٣٢٩/٣).
(٦) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣٠٧/١).
(٧) ينظر: الدر المصون (٤٦٥/٣).
(٨) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢٥٨/٨).

٣- الإتيان بصيغة أمر المؤمنين بالتوكل على الله دون غيره ربطًا على قلوبهم وتثبيتًا لنفوسهم كيلا يأسفوا من إعراض المشركين وما يصيبهم منهم وأن ذلك لن يضرهم، فإن المؤمنين لا يعتزون بهم ولا يتقوون بأمثالهم؛ لأن الله أمرهم أن لا يتوكلوا إلا عليه، وفيه إيذان بأنهم يخالفون أمر الله وذلك يغيظ الكافرين.

٤-الإتيان باسم الجلالة في قوله –تعالى-:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ إظهار في مقام الإضمار، وثمت أغراض أوضحها المفسرون لإظهاره في مقام الإضمار على النحو التالي:

- لتكون الجملة مستقلة بنفسها(١).
- للتبرك به سبحانه، والإشعار بعلة التوكل والأمر به فإن الألوهية مقتضية للتبتل إليه تعالى بالكلية، وقطع التعلق بالمرة عمَّا سواه من البرية(٢).
- لاستحضار عظمة الله تعالى بما يحويه اسم الجلالة من معاني الكمال(٣).

٥- لمَّا كان مطلق الإيمان هو التصديق بالله باعتقاد أنه القادر على كل شيء فلا أمر لأحد معه ولا كفوء له فكيف بالرسوخ فيه، نبَّه على هذا بالربط بالفاء والتأكيد بلام الأمر في قوله: ﴿ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾(٤).

٦- حذف متعلق التوكل ليفيد العموم. أي: ليتوكلوا عليه عز شأنه في جميع أمورهم جليلها وحقيرها سهلها وحزنها(٥).

٧- إظهار لفظ المؤمنون ولم يقل: (وعلى الله فليتوكلوا) ؛ لتكون الجملة مستقلة فتسير مسرى المثل، ولما في المؤمنين من العموم الشامل للمخاطبين وغيرهم(٦).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير(٢٨٢/٢٨).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢٥٩/٢). روح المعاني (٣٢١/١٤)

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢٨٢/٢٨).

(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٢٧/٢٠) بتصرف.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢٥٩/٢).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير (٢٨٢/٢٨).

٨- تخصيص المؤمن بالأمر بالتوكل؛ لأن الإيمان بأن الكل منه – تعالى- يقتضي التوكل[١].

الدروس المستفادة من جملة التذييل:

١- بحسب إيمان العبد يكون توكله فكلما قوي الإيمان قوي التوكل، وأن المؤمنين أولى بالتوكل على الله من غيرهم.

٢- لا يتيسر أمر من الأمور إلا بالله، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالاعتماد على الله، ولا يتم الاعتماد على الله، حتى يحسن العبد ظنه بربه، ويثق به في كفايته الأمر الذي اعتمد عليه به .

٣- وفي جملة التذييل كذلك تحريض المؤمنين على مكافحة الكفار، والصبر على دين الله.

٤- مَنْ تَوَكَّلَ على الله –ﷻ– لَا يَخِيبُ أَمَلُهُ وَلَا يبطل سعيه.

قال ابن كثير: "مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا أَهَمَّهُ، وَحَفِظَهُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ وَعَصَمَهُ"[٢].

٥- في جملة التذييل: "إشارة إلى أن الإنسان يجب أن يدفع ما يعرض له من مكروه وآفة بالتوكل على الله، وأن يصرف الجزع عن نفسه بذلك"[٣].

قال النيسابوري: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ فيه تنبيه على أن المؤمن يجب ألا يعلِّق الرجاء إلا برب الأرباب فإنهم يتعلَّقون بالوسائط والأسباب"[٤].

(١) ينظر: روح المعاني (٣٢١/١٤).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦٤/٣).

(٣) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان(٢٤٩/٢).

(٤) ينظر: المرجع السابق (٤٨٢/٣).

الموضـــع الحادي عشـــر: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [الآية: ١٥].

المعنى الإجمالي للآية:

﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾ أي: بلاء ومحنة يوقعونكم في الإثمِ من حيثُ لا تحتسبون ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ لمن آثَرَ محبةَ الله تعالَى وطاعَتَهُ على محبةِ الأموالِ والأولادِ والسعي في تدبيرِ مصالحِهم[١].

جملة التذييل: قوله تعالى :﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾

فائدة هذا التذييل، وصلته بالآية:

بعد أن حذَّر الله ﷻ المؤمنين من طاعة الأزواج والأولاد في أمر يتعارض مع تعاليم الدين في قوله- تعالى-:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ ﴾[٢] من حيث إن منهم من يضمرون لآبائهم وأزواجهم العداوة والبغضاء وسوء النية، بسبب الاختلاف في الطباع أو في العقيدة والأخلاق، جاء قوله تعالى-: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾؛ لتأكيد التحذير الذي اشتملت عليه الآية السابقة، وتعميم أحوال الأولاد بعد أن ذكر حال خاص ببعضهم، ثمَّ ختم الله -ﷻ- الآية بقوله ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾؛ لترغيب المؤمنين في طاعة الله[٣].

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢٥٩/٨).

(٢) سورة التغابن الآية [١٤].

(٣) ينظر: التحرير والتنوير(٢٨٥/٢٨) التفسير الوسيط [(٨٢/٦) (٤٣٣/١٤)].

من أسرار التذييل بجملة: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾:

قد اشـــتمل التذييل على جملة من البلاغيات التي تبرز حســـن النظم وتزيده جمالًا؛ منها:

١- فصلت هذه الجملة عن التي قبلها؛ ومن حق الجمل إذا ترادفت ووقع بعضها إثر بعض أن تربط بالواو لتكون على نسق واحد، ولكن قد يعرض لها ما يوجب ترك الواو فيها: ويسمى هذا فصلًا ؛ ويقع في مواضع منها: أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، وامتزاج معنوي، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد، ويسمى ذلك «كمال الاتصال»، وذلك يتحقق في عدة صور، هي:

(أ) أن تكون الجملة الثانية بمنزلة البدل من الجملة الأولى، نحو: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ﴾[١].

(ب) أن تكون الجملة الثانية بيانًا لإبهام في الجملة الأولى كقوله- تعالى-:﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾[٢] فجملة (قال يا آدم): بيان لما وسوس به الشيطان إليه. «جـ»: أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى (بما يشـــبه أن يكون توكيدًا لفظيًا أو معنويًا) كقوله تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدًا﴾[٣]. فالمانع من العطف في هذا الموضع اتحاد الجملتين اتحادًا تامًا يمنع عطف الشـيء على نفســه «ويوجب الفصـل»[٤]، ومثله الآية هنا حيث وقعت هذه الآية بمنزلة التأكيد لما اشـتملت عليه الآية التي قبلها كما أشـرنا في العنصـر السـابق، وهذا ما

(١) سورة الشعراء الآيتان [١٣١،١٣٢].

(٢) سورة طه الآية:[١٢٠].

(٣) سورة الطارق الآية: [١٧].

(٤) ينظر: جواهر البلاغة (ص١٨٣، ١٨٤) بتصرف.

بينه ابن عاشور حيث قال: "وفصلت هذه الجملة عن التي قبلها ؛ لأنها اشتملت على التذييل والتعليل وكلاهما من مقتضيات الفصل[١].

٢- أدمج فيه الأموال ؛لأنها لم يشملها طلب الحذر ولا وصف العداوة السابق ذكره في قوله –تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾[٢].

٣- قدم ذكر الأموال على الأولاد ؛ **لعدة وجوه**: **أحدها**: لأن الأموال لم يتقدم ذكرها بخلاف الأولاد[٣]، **والثاني**:" من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى؛ لأن الأولاد ألصق بالقلوب من الأموال لكونهم من أجزاء الآباء بخلاف الأموال؛ فإنها من توابع الوجود وملحقاته"[٤] **والثالث**: لأن فتنة المال أشد وأعظم، **وهذا ما أوضحه أبو حيان؛ حيث قال**: "وَلَمَّا كَانَ الْمَالُ فِي بَابِ الْمُدَافَعَةِ وَالتَّقَرُّبِ وَالْفِتْنَةِ أَبْلَغُ مِنَ الْأَوْلَادِ، قُدِّمَ فِي قَوْلِهِ تعالى:﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴾[٥] وَفِي قَوْلِهِ تعالى:﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾"[٦].

وقال أيضًا: "وَقُدِّمَتِ الْأَمْوَالَ عَلَى الْأَوْلَادِ لِأَنَّهَا أَعْظَمُ فِتْنَةً"[٧]، **والرابع**: لأن الأموال لا تكاد تفارقها الفتنة، وليست الأولاد في استلزام الفتنة مثلها؛ فكان تقديمها أولى.

٤- وجه إدماج الأموال هنا أن المسلمين كانوا قد أصيبوا في أموالهم من المشركين فغلبوهم على أموالهم ولم تذكر الأموال في الآية السابقة؛ لأن الغرض هو التحذير من

(١) ينظر: التحرير والتنوير(٢٨٦/٢٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق(٢٨٥/٢٨).

(٣) ينظر: المرجع السابق الموضع نفسه .

(٤) ينظر: روح البيان (١٩/١٠).

(٥) سورة سبأ الآية: [٣٧].

(٦) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٣٤/٣).

(٧) ينظر: المرجع السابق (١٩٢/١٠).

أشد الأشياء اتصالًا بهم وهي أزواجهم وأولادهم، ولأن فتنة هؤلاء مضاعفة لأن الداعي إليها يكون من أنفسهم ومن مساعي الآخرين وتسويلهم[١].

٥- وجرد عن ذكر الأزواج هنا، لسببين: **أحدهما**: اكتفاء لدلالة فتنة الأولاد عليهن بدلالة فحوى الخطاب، فإن فتنتهن أشد من فتنة الأولاد؛ لأن جرأتهن على التسويل لأزواجهن ما يحاولنه منهم أشد من جرأة الأولاد[٢]. **والثاني**: "لأن منهن من يكن صلاحًا وعونًا على الآخرة"[٣].

٦- جاءت جملة التذييل على أسلوب القصر؛ حيث قصر الأموال والأولاد على الفتنة، وهو قصر موصوف على صفة، أي: ليست أموالكم وأولادكم إلا فتنة، وهو قصر ادعائي للمبالغة في كثرة ملازمة هذه الصفة للموصوف إذ يندر أن تخلو أفراد هذين النوعين، وهما أموال المسلمين وأولادهم عن الاتصاف بالفتنة لمن يتلبس بهما.

وهذا ما قررته عبارة محمد الأمين الهرري، قال: "جيء بـ{إِنَّمَا} للحصر؛ لأن جميع الأموال والأولاد فتنة؛ لأنه لا يرجع إلى مال أو ولد إلا وهو مشتمل على فتنة واشتغال قلب[٤].

٧- والإخبار بـ(فتنة) للمبالغة. والمراد: أنهم سبب فتنة سواء سعوا في فعل الفتن أم لم يسعوا فإن الشغل بالمال والعناية بالأولاد فيه فتنة[٥].

وهذا ما أوضحه الزمخشري ؛ حيث قال:" جعل الأموال والأولاد فتنة؛ لأنهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الإثم أو العذاب، أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده"[٦].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير(٢٨/٢٨٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق(٢٨/٢٨٦).

(٣) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان (٢٩/٣٧٩).

(٤) ينظر: المرجع السابق الموضع نفسه.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير(٢٨/٢٨٥).

(٦) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/٢١٤).

٨- "جعل نفس «الأموال والأولاد» فتنة لكثرة حدوث فتنة المرء من جراء أحوالهما، مبالغة في التحذير من تلك الأحوال وما ينشأ عنها، فكأن وجود الأموال والأولاد نفس الفتنة"(١). فحب الولد قد يحمل الوالدين على اقتراف الذنوب والآثام في سبيل تربيتهم والإنفاق عليهم و[تأثيل] (٢) الثروة لهم، وكل ذلك قد يؤدى إلى الجبن عند الحاجة إلى الدفاع عن الحق أو الأمة أو الدين وإلى البخل بالزكاة والنفقات المفروضة والحقوق الثابتة كما يحملهم ذلك على الحزن على من يموت منهم بالسخط على المولى والاعتراض عليه إلى نحو ذلك من المعاصي كنوح الأمهات وتمزيق ثيابهن"(٣). "وللمال سلطان على النفوس، وشهوة غالبة على القلوب حيث لا حدّ للمال الذي يبلغ عنده الإنسان مبلغ الرضا والشبع، بل إنه كلّما ازداد الإنسان جمعًا للمال كلما ازداد نهمه وجوعه، بل ازداد سعاره وكلبه، بحيث يصبح جمع المال همّه وغايته، فلا يبغى المال لتحقيق رغبة، أو إشباع شهوة، وإنما رغبته هو المال نفسه، وشهوته هو المال لا شيء سواه، ومن كان هذا شأنه فلن يملأ عينه مال الدنيا كلها، لو اجتمع ليده، كالحوت لا يكفيه شيء يلقمه يصبح ظمآن والماء في فمه. وهذا هو موطن الفتنة، ومهبّ الشر من جانب المال فإذا لم يأخذ الإنسان حذره، ويصحب المال على خوف ومحاذرة، جرفته شهوة المال إلى لحجج الفتنة والضلال، فلا يعرف شاطئ الأمن والسلامة بعد هذا أبدًا"(٤).

٩- لم يذكر (مِنْ) التبعيضية في الآية الكريمة لغلبة الفتنة في الأموال والأولاد(٥). **قال أبو حيان:**" وَفِي بَابِ الْعَدَاوَةِ جَاءَ بِـ(مِنْ) الَّتِي تَقْتَضِي التَّبْعِيضَ، وَفِي الْفِتْنَةِ حَكَمَ بِهَا عَلَى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَذَلِكَ لِغَلَبَةِ الْفِتْنَةِ بِهِمَا"(٦). **يقول محمد الأمين الهرري:**" ولم يذكر

(١) ينظر: التحرير والتنوير(٣٢٥/٢٨).

(٢) وَثَّلَ الشيءَ: أَصَّله ومكَّنه، وتَأَثَّلَ مَالًا: اكْتَسَبَهُ وَاتَّخَذَهُ وثَمَّره. ينظر: لسان العرب[(٩/١١)،(٧٢٢/١١)].

(٣) ينظر: تفسير المراغي (١٩٤/٩،١٩٥).

(٤) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (٥٩٤/٥،٥٩٥).

(٥) ينظر: روح المعاني (٣٢٢/١٤).

(٦) ينظر: البحر المحيط في التفسير (١٩٢/١٠).

{مِنْ} في ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لأنهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما"[١].

١٠- عطف على التحذير من فتنة الأموال والأولاد قوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾؛ "لتذكير المؤمنين بما يعينهم على ما يجب عليهم من اتقاء الفتنتين، وهو إيثار ما عند الله - ﷻ - من الأجر العظيم لمن راعى أحكام دينه وشرعه في الأموال والأولاد، ووقف عند حدوده، وتفضيله على كل ما عساه يفوته في الدنيا من التمتع بهما، لعلهم يتقون"[٢].

وفي ذلك يقول ابن عاشور: "وعطف قوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ على قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾؛ للإشارة إلى أن ما عند الله من الأجر على كف النفس عن المنهيات هو خير من المنافع الحاصلة عن اقتحام المناهي لأجل الأموال والأولاد"[٣].

"فالعاقل يوازن بين الأشياء، ويؤثر أولاها بالإيثار وأحقها بالتقديم"[٤].

١١- أكدَّ الله - تعالى- الأجر الذي يتكافأ مع مقاومة الخيانة بسبب متعة المال والولد أولًا: بالتعبير بالجملة الاسمية. وثانيًا: بتنكير أجر؛ للدلالة على أنه أجر لا يحيط به عقل أهل الدنيا، وثالثًا: بوصفه بأنه (عظيم)، وذلك لتحصين نفسه بهذا الأجر الذي لَا يقارن قدره[٥].

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان (٣٧١/٢٩).
(٢) ينظر: تفسير المنار (٥٣٧/٩).
(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٢٥/٩).
(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص٣١٩).
(٥) ينظر: زهرة التفاسير (٣١٠٨/٦)بتصرف.

الدروس المستفادة من جملة التذييل:

١- الترغيب في الآخرة والزهد في الدنيا.

٢- يجب على العاقل أن يحترز عن المضار المتولدة مِنْ ذَلِكَ الْحُبِّ للأموال والأولاد؛ لِأَنَّه يشْغَلُ الْقَلْبَ بِالدُّنْيَا، وَيصِيرُ حِجَابًا عَنْ خِدْمَةِ الْمَوْلَى[١]. و"الحذر لَا يكون بترك المال والأولاد، إنما الحذر ألا نطلب المال إلا من الحلال، وألا تدفعنا عاطفة الأبوة إلى الشطط ومجاوزة الحد"[٢] فلا يبالغ أحد في حب الزوجة والأولاد وفي الحرص على مصالحهم، فيصبح من أجلهم بخيلًا جبانًا، ولا يجافيهم ويحرمهم حقوقهم متذرّعا بأنهم فتنة وعقبة، فالأصل في الحقوق الشرعية أنها لا تتعارض ولا تتصادم فيما بينها، بل يمكن الوفاء بها جميعًا، ويسهل التوازن بينها[٣].

٣- في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ "تَنْبِيه عَلَى أَنَّ سعَادَات الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنْ سعَادَاتِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهَا أَعْظَم فِي الشَّرَفِ، وَأَعْظَم فِي الْفَوْزِ، وَأَعْظَم فِي الْمُدَّةِ؛ لِأَنَّهَا تَبْقَى بَقَاءً لَا نِهَايَة لَهُ، فَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ وَصْفِ اللَّه الْأَجر الَّذِي عِنْدَهُ بِالْعِظَمِ[٤].

٤- "أنَّ الافتتان بالأموال والأولاد مدعاة لضروب من الفساد، فإنَّ حب المال والولد من الغرائز التي يعرض للناس فيها الإسراف إذا لم تهذب بهدي الدين وحسن التربية والتعليم"[٥].

٥- "وفي كوْنِ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ عِنْدَهُ إِشَارَة إِلَى أَنْ لَا يُفْتَنَ الْمَرْءُ بِمَالِهِ وَوَلَدِهِ فَيُؤْثِرَ مَحَبَّتَهُ لَهُمَا عَلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ فَيَجْمَعَ الْمَالَ وَيُحِبَّ الْوَلَدَ حَتَّى يُؤْثِرَ ذَلِكَ كَمَا فَعَلَ أَبُو لُبَابَةَ لِأَجْلِ كَوْنِ مَالِهِ وَوَلَدِهِ كَانُوا عِنْدَ بَنِي قُرَيْظَةَ"[٦].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٥/٤٧٥).

(٢) ينظر: زهرة التفاسير (٦/٣١٠٨).

(٣) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن (٨/٢٠٧).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب (١٥/٤٧٦).

(٥) ينظر: حدائق الروح والريحان (١١/١٠٦).

(٦) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٥/٣٠٨).

٦- الفتنة لا تكون بالشدة وبالحرمان وحدهما، بل تكون كذلك بالرخاء وبالعطاء أيضًا، ومن أمثلة الفتنة بالرخاء والعطاء فتنة الأموال والأولاد كما ورد في الآية الكريمة.

الموضع الثاني عشر: قوله –تعالى-: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الآية: ١٦].

المناسبة والمعنى الإجمالي للآية:

بعد ما حذَّرت الآيات السابقة من فتنة الأزواج والأولاد وما يترتب على ذلك من الضرر والغبن[١]، وذلك بسبب الانشغال عن الطاعة، والقعود عن الجهاد، والعزوف عن الدعوة، والسقوط في أكل الحرام، بوازع تلبية مطالبهم وإشباع رغباتهم، أو بسبب الخوف عليهم والتعلُّق بهم، جاءت هذه الآيات لبيان الوقاية من هذه الفتنة، وما يجب على المسلم حيال هذه الفتن، وهي تقوى الله بقدر المستطاع، والسمع والطاعة والإنفاق، والسخاء، والقرض الحسن، وغير ذلك من وجوه البر التي تعد من التجارة الرابحة، وترفع من رصيد العبد عند ملك الملوك، وتنجيه من الغبن فقال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ أي: ابذلوا جهدَكم وطاقتكم في تقواه ﴿ وَٱسْمَعُوا ﴾ ما تُوعظون به ﴿ وَأَطِيعُواْ ﴾ فيما تُؤمرون به ﴿ وَأَنفِقُواْ ﴾ مما رزقناكم في الوجوه التي أُمرتم، فالإنفاق فيها خالصًا لوجهه ﴿ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ﴾ أي: وائتوا خيرًا لأنفسكم[٢] ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ ﴾

(١) وذلك في قوله –تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٤ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة التغابن الآيتان:١٤،١٥].

(٢) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٦٣/٧).

وَمَنْ يَقِهِ اللَّهُ شُحَّ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ اتِّبَاعُ هَوَاهَا فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَقَوْله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ أي: الفائزون فوزًا تامًا لا نقص معه.

جملة التذييل: قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

فائدة هذا التذييل، وصلته بالآية:

وجملة التذييل مؤكدة لمضـــمون الآية الكريمة، فبعد ما أمر الله - تعالى- المؤمنين بالإنفاق جاءت جملة التذييل تحض الناس على التحلي بفضيلة السخاء والكرم، ومدح من يتصف بذلك.

وفي ذلك يقول الشـــيخ /عبد الكريم يونس الخطيب: هي تحريض على البذل والإنفاق في سبيل الله، وتحذير من الشحّ، والضنّ بالبذل والسخاء في وجوه الخير"[(١)].

من أســـرار التذييل بجملة﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ قد اشـــتمل التذييل على جملة من البلاغيات التي تبرزحســـن النظم وتزيده جمالًا؛ منها:

١- التعبير بـــ(مَنْ) التي من صـيغ العموم، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ (مَنْ) مُرَادٌ بِهَا جِنْسٌ لَا شَـخْصٌ مُعيَّنٌ وَلَا طَائِفَةٌ.

٢- ولَمَّا كان المقصـــود النزاهة عن الرذيلة من أي جهة كانت، وكان علاج الرذائل صـــعبًا جدًا، لا يطيقه الإنســـان إلا بمعونة من الله شـــديدة، بنى للمفعول قوله: ﴿ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ ﴾ أي: يحصـــل بينه وبين أخلاقه الذميمة، وقاية تحول بينه وبينها، فلا يكون مانعًا لما عنده، حريصًا على ما عند غيره حسدًا[(٢)].

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (٩٩٧/١٤).

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤٤٠/١٩، ٤٤١).

٣- ولمَّا كان الواقي إنما هو الله تعالى سبب عن وقايته قوله - تعالى-: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: العالوالرتبة ﴿هُم﴾ أي: خاصة ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الذين حازوا جميع المرادات بما اتقوا الله فيه من الكونيات من المال والولد والأهل والمشوشات من جميع القواطع[١].

٤- "وفي التعبير عن السلامة من شح النفس وبخلها وحرصها، بلفظ الوقاية منه للإشارة إلى أن الشح عدو راصد، يتربص بالنفس الإنسانية في أية لحظة يغفل فيها الإنسان عن حراسة نفسه منه، فإذا غفل الإنسان عن هذا العدو دخل على نفسه، واستولى عليها"[٢].

٥- إضافة الشح إلى النفسِ؛ لأنَّه غريزةٌ فيها مقتضيةٌ للحرصِ على المنعِ الذي هو البخلُ[٣].

يقول ابن عاشور: "وَإِضَافَةُ (شُحَّ) إِلَى النَّفْسِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الشُّحَّ مِنْ طِبَاعِ النَّفْسِ فَإِنَّ النُّفُوسَ شَحِيحَةٌ بِالْأَشْيَاءِ الْمُحَبَّبَةِ إِلَيْهَا"[٤].

وللشنقيطي هنا ملمح طيب، قال "وفي إضافة الشح إلى النفس مع إضافة الهداية فيما تقدم[٥] إلى القلب سر لطيف، وهو أن الشح جِبِلَّة البشرية، والهداية منحة إلهية، والأولى قوة حيوانية، والثانية قوة روحية فعلى المسلم أن يغالب بالقوة الروحية ما جُبِل عليه من قوة بشرية ; لينال الفلاح والفوز"[٦].

٦-كَانَ مُقْتَضَى الظَّاهر فَصل جُمْلَة (فأولئك هم المفلحون) عَمَّا قَبْلَهَا بِدُونِ عطف لكن عُطِفَتْ لأَنَّ؛ مَضْمُونها جَزَاء عما قَبْلَهَا، فَهِيَ أَجْدَرُ بِأَنْ تلحق بِهَا.

---

(١) ينظر: المرجع السابق (١٣٥/٢٠).

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (٨٦٢/١٤).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢٢٩/٨).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير(٢٨٩/٢٨).

(٥) أي: في قوله –تعالى-:﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [سورة التغابن الآية:١١].

(٦) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٠٥/٨).

٧- اخْتِيرَ اسْـمُ إِشَـارَةِ الْبُعْدِ؛ لِتَعْظِيمِ هَذَا الصِّـنْفِ مِنَ النَّاسِ، والإيذان بعلوّ درجتِهم، وسمو طبقتهم في الفضل والشَّرفِ.

٨- صِـيغَةُ الْقَصْـرِ الْمُؤَدَّاة بِضَـمِيرِ الْفَصْـلِ لِلْمُبَالَغَةِ لِكَثْرَةِ الْفَلَاحِ الَّذِي يَتَرَتَّبُ عَلَى وِقَايَةِ شُحِّ النَّفْسِ حَتَّى كَأَنَّ جِنْسَ الْمُفْلِحِ مَقْصُورٌ عَلَى ذَلِكَ الْمُوقَى[١]،ولِقَصْدِ الِانْحِصَارِ، أَيْ: هُمُ الَّذِينَ انْحَصَرَ فِيهِمْ تَحَقُّقُ الْمُفْلِحِينَ، أَيْ: إِنْ عَلِمْتَ جَمَاعَة تُعْرَفُ بِالْمُفْلِحِينَ فَهُمْ هُمْ.

٩- تعريفُ (المفلحون) للدلالة على أن من يوق شـح نفسـه هم الناس الذين بلغك أنهم المفلحون في الآخرة، أو إشارةٌ إلى ما يعرِفه كلُّ أحد من حقيقة المفلحين وخصائصِهم[٢].

الدروس المستفادة من جملة التذييل:

١- الإشادة بفضل الإيثار والتطهّر من الشح.

٢- الإشارة إلى أن " الفلاح مترتب على عدم شح النفس بشيء من الأشياء التي يقبح الشح بها شـرعًا، من زكاة أو صـدقة أو صـلة رحم أو نحو ذلك"[٣] "وذلك لأن اللَّه تعالى وعد في هذه الآية أن من وقي شح نفسه، وأدَّى ما وجب عليه من هذه الحقوق فقد أفلح"[٤].

٣- الدلالة على أن وراء الشـح الهلاك، ومن سـلم من البخل والطمع الذي تدعو إليه النفس فقد فاز بكل مطلوب.

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٨/٩٥).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم(٣/٢١٣).

(٣) ينظر: حدائق الروح والريحان (٢٩/١١٩).

(٤) ينظر: تأويلات اهل السنة (١٠/٤٥).

يقول محمد عزت دروزة: "وتعبير ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ يتكرر هنا للمرة الثانية[١] حيث ينطوي في ذلك توكيد على سوء خلق الشحّ وعظم فلاح من يكون بريئًا منه وحثّ على نبذه"[٢].

(٤) والمرة الأولى في قوله –تعالى-﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[الحشر الآية:٩].

(٢) ينظر: التفسير الحديث (٨/٥٥٤).

الموضع الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [الآية: ١٧].

المناسبة والمعنى الإجمالي للآية:

لمَّا أمر الله –تعالى- بالإنفاق، ورهَّب مِن ضدِّه على وجه أعم[١]، رغبَّ فيه؛ تأكيدًا لأمره لما فيه من الصعوبة، لا سيَّما في زمان النبي (ﷺ)؛ فإن المال فيه كان في غاية العزة[٢] والمعنى: "وَإِنْ تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَتُحْسِنُوا فِيهَا النَّفَقَةَ، وَتَحْتَسِبُوا بِإِنْفَاقِكُمُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ يُضَاعِفْ ذَلِكَ لَكُمْ رَبُّكُمْ، فَيَجْعَلْ لَكُمْ مَكَانَ الْوَاحِدِ سبعمائة ضِعْف إِلَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا يَشَاءُ مِنَ التَّضْعِيفِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ فَيَصْفَح لَكُمْ عَنْ عُقُوبَتِكُمْ عَلَيْهَا مَعَ تَضْعِيفِهِ نَفَقَتَكُمُ الَّتِي تُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِهِ ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ ﴾ يَقُولُ: وَاللَّهُ ذُو شُكْرٍ لِأَهْلِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ، بِحُسْنِ الْجَزَاءِ لَهُمْ عَلَى مَا أَنْفَقُوا فِي الدُّنْيَا فِي سَبِيلِهِ ﴿ حَلِيمٌ ﴾ يَقُولُ: حَلِيمٌ عَنْ أَهْلِ مَعَاصِيهِ بِتَرْكِ مُعَاجَلَتِهِمْ بِعُقُوبَتِهِ"[٣].

جملة التذييل: قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾.

فائدة هذا التذييل، وصلته بالآية:

جاءت جملة التذييل لبيان علة مضاعفة الأجر والثواب، وللترغيب كذلك في النفقة، **وفي ذلك يقول المراغي:** بالغ الله ﷻ في الحث على الإنفاق أيضًا فقال: ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ ﴾، أي: إن تنفقوا في طاعة الله متقرّبين إليه بإخلاص وطيب نفس يضاعف لكم ذلك الحسنة بعشر أمثالها إلى

(١) وذلك في قوله –تعالى-:﴿ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة التغابن الآية: ١٦].

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣٥/٢٠).

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢١/٢٣).

سبعمائة ضعف، ويستر لكم ما فرط من زلاتكم، ثم بيّن علة المضاعفة ورغب في النفقة فقال:﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ فيثيب من أطاعه بأضعاف مضاعفة، ولا يعاجل من عصاه بعقوبته على كثرة الذنوب والخطايا[١].

وقال الجزائري "وقوله –تعالى-: ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ترغيب أيضًا لهم في الإنفاق؛ لأن الشكور معناه يعطي القليل فيكافئ بالكثير، والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة، ومثله يقرض القرض الحسن"[٢].

من أسرار التذييل بجملة ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾:

قد اشتمل التذييل على جملة من البلاغيات التي تبرز حسن النظم وتزيده جمالًا؛ منها:

١- أُطْلِقَ الشُّكْرُ فِيهِ عَلَى الْجَزَاءِ بِالْخَيْرِ عَلَى فِعْلِ الصَّالِحَاتِ تَشْبِيهًا لِفِعْلِ الْمُتَفَضِّلِ بِالْجَزَاءِ بِشُكْرِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ عَلَى نِعْمَةٍ وَلَا نِعْمَةَ عَلَى اللَّهِ فِيمَا يَفْعَلُهُ عِبَادُهُ مِنَ الصَّالِحَاتِ فَإِنَّمَا نَفْعُهَا لِأَنْفُسِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَفَضَّلَ بِذَلِكَ حَثًّا عَلَى صَلَاحِهِمْ فَرَتَّبَ لَهُمُ الثَّوَابَ بِالنَّعِيمِ عَلَى تَزْكِيَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَتَلَطَّفَ لَهُمْ فَسُمِّيَ ذَلِكَ الثَّوَابُ شُكْرًا وَجَعَلَ نَفْسَهُ شَاكِرًا[٣].

٢- أتبع صِفَة (شَكُورٌ) بِصِفَةِ (حَلِيمٌ) تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ ذَلِك من حلمه بِعِبَادِهِ دُونَ حَقٍّ لَهُمْ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ[٤].

٣- "أَتْبَعَ جَوَابَيِ الشَّرْطِ بِوَصْفَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَائِدٌ إِلَى الْمُضَاعَفَةِ، إِذْ شُكْرُهُ –تَعَالَى- مُقَابِلٌ لِلْمُضَاعَفَةِ، وَحِلْمُهُ مُقَابِلٌ لِلْغُفْرَانِ"[٥].

---

(١) ينظر: تفسير المراغي (١٣١/٢٨، ١٣٢) بتصرف يسير.

(٢) ينظر: أيسر التفاسير (٣٧١/٥).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢٩١/٢٨).

(٤) ينظر: المرجع السابق (٢٩٠/٢٨).

(٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير (١٩٣/١٠).

٤- صيغة المبالغة في ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾؛لأن فعول وفعيل من صيغ المبالغة.

٥- (حَلِيمٌ) سجع مرصع لتوافق الفواصل[١].

الدروس المستفادة من جملة التذييل:

١-الله ﷻ " بليغ الشكر لمن يعطي لأجله ولو كان قليلًا فيثيبه ثوابًا جزيلًا خارجًا عن الحصر وهو ناظر إلى المضاعفة، حليم لا يعاجل بالعقوبة على ذنب من الذنوب وإن عظم بل يمهل كثيرًا طويلًا ؛ليتذكر العبد الإحسان مع العصيان فيتوب، ولا يهمل ولا يغتر بحلمه، فإن غضب الحليم لا يطاق"[٢].

٢- وللشنقيطي ملمح طيب فيما يستفاد من جملة التذييل ؛ حيث قال:" ومجيء هذا التذييل هنا يشعر بالتوجيه في بعض نواحي إصلاح الأسرة، وهو أن يقبل كل من الزوجين عمل الآخر بشكر، ويقابل كل إساءة بحلم ليتم معنى حسن العشرة، ولأن الإنفاق يستحق المقابلة بالشكر والعداوة تقابل بالحلم"[٣].

****

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٢٥٢/٢٨).

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣٦/٢٠).

(٣) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(٢٠٦/٨).

الخـاتمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وصحبه وآله، ومن صار على منواله إلى يوم الدين.

فبعد هذه السياحة القصيرة في كتاب الله -ﷻ- **في صحبة هذه السورة العظيمة من سوره الكريمة، توصلت إلى عدة نتائج يمكن إجمالها فيما يلي:**

- ❖ أسلوب القرآن جاء متفردًا عن غيره من أساليب العرب في كلامها فكان هو ملتقى نهايات الفضيلة البيانية على تباعد ما بين أطرافها.
- ❖ كل لفظ ورد في القرآن الكريم، بل كل حرف موضوع في موضعه لا يحدو عنه ولا يتعداه مشتملًا على فائدة فهمها من فهمها، وعمي عنها من عمي.
- ❖ يعد أسلوب التذييل من الأساليب البلاغية في فهم معاني القرآن، وسمة فريدة من سمات القرآن الكريم، ووجه من وجوه إعجازه.
- ❖ بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للتذييل صلة قوية.
- ❖ ورد التذييل في سورة التغابن على أنواعه المتعددة، وألوانه المتباينة فمرة يأتي جاريًا مجرى المثل، ومره لا يجري مجراه، ومرة يأتي مؤكد للمنطوق، وأخرى مؤكد للمفهوم.
- ❖ تحقق جملة التذييل أغراضًا كثيرة، منها: تقرير مضمون الجملة، والتعليل، والتعريض، والتقبيح والتوبيخ، والتهويل، والترغيب والتشويق.
- ❖ اعتنى بهذا الأسلوب البلاغي جلة من المفسرين منهم أبو السعود، والقاسمي والألوسي، وابن عاشور.
- ❖ تناسب التذييل مع الكلام المذيَّل تناسبًا راقيًا يجعل السابق يمهد للاحق، واللاحق يؤكد على السابق في تناغم واتساق.
- ❖ حوت جمل التذييل واستوعبت كثيرًا من فنون البلاغة بأسلوب سهل لا تكلف فيه ولا غموض.

ثانيًا التوصيات:

- ❖ إعطاء هذا الفن من البلاغة القرآنية –التذييل- مساحة أكبر من الدراسة لما له من أهمية كبيرة في إبراز وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم وهو الإعجاز البياني.
- ❖ عمل مشروع علمي في دراسة هذا الأسلوب في القرآن الكريم، سواء كان ذلك بجمع مواضعه ودراستها عند العلماء الذين أكثروا من ذكره كأبي السعود، وابن عاشور، أو جمعها ودراستها بترتيب سور القرآن الكريم.
- ❖ عمل بحث مستقل لدراسة الأغراض البيانية والمعاني الجليلة التي يحملها هذا الأسلوب في طياته.

وبعد، فما كان في هذا البحث من صواب فلله الحمد والمنة، وما كان من خطأ فمن نفسي وما توفيقي إلا بالله، والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد(ﷺ).

****

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- **الإتقان في علوم القرآن** لجلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ت: محمد أبو الفضل، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، عدد الأجزاء: ٤
- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، لـ: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت عدد الأجزاء (٩).
- **أسرار ترتيب القرآن**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: ١
- **أسرار التذييل في الربع الثالث من سورة النساء** من أول قول الله –تعالى-: ﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ إلى آخر الربع بحث منشور في مجلة كلية البنات الإسلامية بأسيوط، العدد الثامن عشر، يناير ٢٠٢١م، للدكتور مصطفى أحمد محمد أحمد، أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا.
- **أصول الفقه** لابن مفلح(المتوفى: ٧٦٣هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: الدكتور فهد بن محمد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت– لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
- **إعجاز القرآن للباقلاني** لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) ت: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م.

- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.
- **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- **الإيضاح في علوم البلاغة**، لجلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة عدد الأجزاء: ٣
- **البحر المحيط في التفسير**، لأبي حيان (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ
- **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ) المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩هـ
- **البرهان في علوم القرآن**، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
- **[بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة]** المؤلف: عبد المتعال الصعيدي، الناشر: مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- **البلاغة العربية**، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

- **بلاغة القرآن في تذييل الآيات دراسة تأصيلية لـ** أ.د/ أحمد محمد الشرقاوي – بحث منشور في مجلة تدبر - عدد ٢ إبريل ٢٠١٧م.
- **البيان في عدّ آي القرآن**، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ١
- **تأويلات أهل السنة**، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١
- **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن** لابن أبي الإصبع (المتوفى: ٦٥٤هـ)تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف الناشر: الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- **التحرير والتنوير** «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).
- **التفسير الحديث** [مرتب حسب النزول]، المؤلف: محمد عزت دروزة، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ
- **تفسير الراغب الأصفهاني**، للراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١. جزء ٢، ٣: من أول سورة آل عمران - وحتى الآية ١١٣ من سورة النساء، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي، دار النشر: دار الوطن – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م عدد الأجزاء: ٢، جزء ٤، ٥: (من الآية ١١٤ من سورة النساء - وحتى آخر سورة المائدة) تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، الناشر: كلية

الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢

- **تفسير القرآن، للسمعاني** (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- **تفسير القرآن العظيم**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.
- **التفسير القرآني للقرآن**، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.
- **التفسير المحرر للقرآن الكريم**، إعداد القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، مراجعة الشيخ الدكتور / خالد بن عثمان السبت، والشيخ الدكتور/ أحمد سعد الخطيب، الناشر: مؤسسة الدرر السنية، الطبعة: الأولى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
- **تفسير المراغي**، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.
- **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ
- **التفسير الموضوعي لسور القرآن**، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، إشراف أ.د/ مصطفى مسلم، الناشر/جامعة الشارقة، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- **تفسير النسفي** (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه:

يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء:(٣).

- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى، تاريخ النشر: أجزاء ١ - ٣: يناير ١٩٩٧، جزء ٤: يوليو ١٩٩٧، جزء ٥: يونيو ١٩٩٧، أجزاء ٦ - ٧: يناير ١٩٩٨، أجزاء ٨ - ١٤: فبراير ١٩٩٨، جزء ١٥: مارس ١٩٩٨.
- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م)،عدد المجلدات: ١٠
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)،المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١.
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** لـ محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات)
- **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام** لابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة – الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

- **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.
- **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- **خزانة الأدب وغاية الأرب** لابن حجة الحموي، (المتوفى: ٨٣٧هـ)، المحقق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال -بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م.
- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق.

- **ديوان النابغة الذبياني** شرح وتقديم عباس عبد الساتر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

- **روح البيان**، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ
- **زهرة التفاسير**، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي، عدد الأجزاء: ١٠
- **صفوة التفاسير**، المؤلف: محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

- **الصناعتين**، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت، عام النشر: ١٤١٩هـ.
- **طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة** (المتوفى: ٨٥١هـ) المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان دار النشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ
- **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت: ٧٤٥هـ)، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.
- **علوم البلاغة** «البيان، المعاني، البديع» المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ).
- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ.
- **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، المؤلف: محمد صديق خان القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، (صَيدَا – بَيروت): ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.
- **فتح القدير**، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ-
- **القاموس المحيط**، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)،تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ
- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن** للثعالبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
- **لباب التأويل في معاني التنزيل**، للخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ
- **لسان العرب** لابن منظور (ت: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ
- **محاسن التأويل**، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، المؤلف: أحمد بن حنبل(المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م
- **معالم التنزيل في تفسير القرآن** = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ
- **مفاتيح الغيب** = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٢٠هـ.

- **مقاييس اللغة**، المؤلف: أحمد بن فارس الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- **من أسرار التذييل في سورة الجمعة** بحث منشور في مجلة الدراسات الإسلامية والأدبية العدد: ١١ المجلد: ٤ يناير ٢٠١٦م للدكتور/ عادل عبد اللطيف رجب عبد العاطي مدرس التفسير بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة .
- **المنهاج الواضح للبلاغة** المؤلف: حامد عوني الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث
- **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم** لـ التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ) تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.
- **الميزان في تفسير القرآن** لمحمد حسين الطباطبائي، الناشر: مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**، المؤلف: محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- **النحو الوافي** المؤلف: عباس حسن (ت: ١٣٩٨هـ)، الناشر: دار المعارف، الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة.
- **النكت في إعجاز القرآن** للرماني (ت: ٣٨٤هـ)، المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م.
- **نهاية الأرب في فنون الأدب**، لـ/ شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ)، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ
- **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه**، وجمل من فنون علومه]ـ المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل

جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م، عدد الأجزاء: ١٣ (١٢، ومجلد للفهارس).

مواقع الانترنت:

- لمسات بيانية من سورة الحديد،بحث منشور في موقع www.startimes.com:
- من روائع القرآن الكريم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ بحث منشور في موقع islamiyyat.٣abber.com
- وقفات مع القاعدة القرآنية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ (البقرة ٢٠) بحث منشور في موقع www.talabanew.net
- وقفة بلاغية في تقديم وتأخير (خبير) في كتاب الله عزو جل بحث منشور على sunnti.com.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٤٢١ـ١٤٢٧
المبحث الأول: الدراسة التأصيلية	١٤٢٨
المطلب الأول: مفهوم التذييل، وأهمية دراسته في القرآن الكريم.	١٤٢٩ـ١٤٣١
المطلب الثاني: أقسامه، وأغراضه.	١٤٣٢ـ١٤٤٥
المطلب الثالث: الفرق بين التذييل والفاصلة .	١٤٤٦ـ١٤٤٧
المطلب الرابع: مظاهر اعتناء المفسرين بهذا النوع من البلاغة القرآنية في كتب التفسير.	١٤٤٨ـ١٤٥١
المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية	١٤٥٢
المطلب الأول: التعريف بسورة التغابن.	١٤٥٢ـ١٤٥٥
المطلب الثاني: أسرار التذييل في السورة الكريمة.	١٤٥٦ـ١٥٠١
الخاتمة	١٥٠٢ـ١٥٠٣
فهرس المراجع والمصادر	١٥٠٤ـ١٥١٣
فهرس الموضوعات	١٥١٤

****